

سيرة المسيح

الكتاب الخامس: جوهره واتّباعه

الدكتور جورج فورد

Call of Hope . Stuttgart . Germany

سيرة المسيح الكتاب الخامس

جوهره واتّباعه

بقلم الدكتور جورج فورد

الطبعة الأولى ١٩٨٦

جميع الحقوق محفوظة

All rights reserved

Order Number SPB 7355 A

German Title: Sein Wesen und seine Anhänger (Heft 5)

English Title: His Essence and his followers (booklet 5)

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27 · 70007 Stuttgart · Germany

في هذا الكتاب

- هذا الكتاب ٥
- ١ - من هو المسيح وماذا سيفعل؟ ٦
- أعطيك مفاتيح الملكوت ٨
- ماذا سيفعل المسيح؟ ٩
- شروط اتباع المسيح ١٠
- ٢ - المسيح على جبل التجلي ١٣
- الصليب موضوع الحديث ١٤
- دهشة التلاميذ ١٥
- شهادة السماء لابن الله ١٦
- برهان الخلود ١٧
- ٣ - المسيح يشفي مسكوناً بروح نجس ١٨
- المسيح يدفع الضرائب ٢١
- ٤ - المسيح يعلم عن العظمة الحقيقية ٢٤
- تحذير من العثرات ٢٦
- تحذير من تعشير الصغار ٢٨
- إن أخطأ إليك أخوك ٢٩
- مثل الملك الذي سامح ٣١
- ٥ - المسيح يغفر للزانية ٣٣
- ٦ - شروط اتباع المسيح ٤٠
- ثلاثة أمثال ٤٢
- الإتباع العملي ٤٣
- فرح المسيح بخدمة أتباعه ٤٦

- ٧ - من هو قريبي؟ ٤٨
مريم ومرثا تستقبلان المسيح ٥٢
- ٨ - المسيح يفتح عيني مولود أعمى ٥٥
- ٩ - المسيح الراعي الصالح ٦٢
المسيح هو الباب ٦٣
المسيح هو الراعي الصالح ٦٣
الراعي يبذل نفسه ٦٤
- ١٠ - من تعاليم المسيح ٦٩
تعليم عن الصلاة ٦٩
تعليم عن عناية الله ٧٠
تعليم عن المحيي الثاني ٧٢
تعليم عن التوبة ٧٣
- تعليم عن عمل الخير يوم السبت ٧٤
تعليم عن دعوة المساكين ٧٥
الأكل في ملكوت السموات ٧٧
- مسابقة الكتاب ٧٩

هذا الكتاب

يسر أسرة «نداء الرجاء» أن تصدر هذا الكتاب عن حياة السيد المسيح، في سبعة أجزاء.

وقد كتب هذا الكتاب في مجلد واحد باللغة العربية الدكتور جورج فورد في أوائل العشرينات من هذا القرن، بعنوان «كتاب القول الصريح في سيرة يسوع المسيح».

وقد قام محررو نداء الرجاء بإعادة كتابته في الصورة التي تراها الآن.

ونحن نأمل أن يتعرف القارئ الكريم على المسيح بطريقة شخصية، وأن يكون شعاره «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً».

أسرة «نداء الرجاء»

١ - من هو المسيح وماذا سيفعل؟

• «ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ . وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلَامِيذُهُ قَائِلًا: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ إِيْلِيَا، وَآخَرُونَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ». فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ!» فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ عَنْهُ» (مرقس ٨: ٢٧-٣٠).

ارتحل المسيح وتلاميذه شمالاً، سفر نحو يومين، إلى سفح جبل الشيخ في نواحي قيصرية فيلبس، وهناك وجّه لهم السؤال: «من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟». وكعادته لم يكن سؤاله للاستفهام، بل لخير الذين يطلب منهم الجواب. طلب منهم أن يخبروه برأي الناس فيه كابن الإنسان فقط، لأن العامة لا يرون إلا ناسوته. فأجابوه أن الناس في حيرة من جهته. يعتبرونه نبياً عظيماً، لكن لا يتصورونه نبياً جديداً. يظنون أنه إيليا أو إرميا أو المعمدان أو نبي آخر قديم قد ظهر ظهوراً جديداً. والظاهر أن ليس أحد يقول إنه المسيح المنتظر.

هل هذه هي النتيجة بعد خدمته ثلاث سنين؟ هل ذهبت أتعابه أدرج الرياح؟ قد أصاب البشير بقوله: «وَالنُّورُ يَضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ» (يوحنا ١: ٥). بعد إشباعه الخمسة الآلاف قال عنه الجمع: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِّيقَةِ النَّبِيُّ الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» (يوحنا ٦: ١٤). أي النبي الذي ينبغي أن يظهر قبل مجيء المسيح ليعلن مجيئه.

كان سؤال المسيح عن رأي الناس فيه مقدمة للسؤال الأهم، عن رأي تلاميذه الذين ثبتوا بعد ارتداد الأكثرين عنه. وبعد سنوات الدرس والتمرين، أنتت الساعة ليفحصهم فيعرف أفكارهم في شخصية المعلم وليس فقط في تعليمه. لذلك سألهم: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» - دون حصر سؤاله كالمرة الأولى في كونه ابن

الإنسان.

لا ريب أنهم كانوا قد تحدثوا في ما مضى وتحاوروا في الأمر الذي سألهم عنه الآن، وتمسكوا طوال حياتهم بالآمال السياسية العالمية المتعلقة بمجيء المسيح، فيكون تركها تماماً من أصعب الأمور. ولكن المسيح أراد أن يحو هذه الفكرة منهم، وأن يقطعها نهائياً. لبت الجميع يدركون ضرورة «القطع والبت»، دون تردد أو إمهال في تقرير المعتقد الديني، ومباشرة السلوك بموجبه.

وكم كان ابتهاج المسيح عظيماً لما أخذ من تلاميذه - بغم بطرس - ذلك الجواب المستوفي الصريح: «أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ» (يوحنا ٦ : ٦٩). كان السؤال الأول للمسيح: ما القول فيه كابن الإنسان. فجاءه في الجواب الثاني «أنت ابن الله». فما أعظم سر التقوى الذي أشار الرسول بولس إليه وهو أن الله ظهر في الجسد (١٦ : ٣) أي أن القولين في المسيح إنه ابن الإنسان وإنه ابن الله الحي صادقان، على رغم ما بظاهرهما من التناقص. أخذ المسيح لنفسه لقب الاتضاع، واعترف بطرس له بلقب الارتفاع. لم يبتهج المسيح لهذا الجواب، لأن الشياطين سبقت إلى مثل هذا الاعتراف مراراً، وكذلك يوحنا المعمدان ونثنائيل. وبطرس ذاته أجاب قبلاً بهذه الألفاظ. لكن المسيح ابتهج لروح بطرس وزملائه، وللايمان الثابت بعد تمحيص الحوادث السابقة. فطوّب المسيح بطرس حالاً شخصياً تطويلاً لم نقرأ أنه أسبغه على غيره إذ قال: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا» (متى ١٦ : ١٧).

ليس في هذا التطويب مديح لبطرس، بل تهنئة لحظّه الممتاز. وقد ظهر هذا في قول المسيح لبطرس: «إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٦ : ١٧) فليس شيء مما قاله أو فعله بطرس مجلبة لهذا التطويب، بل ما ناله من كلام الإله الذي أعلن له بالهام روحي تلك النبوة الفريدة. ونحن نعلم أن نور الخلاص - مثل هذا الإعلان لبطرس - لا يمكن أن يأتي من البشر، فالبشر يهيئون السراج والزيت، لكن النور من عمل الإله. وقد قال الرسول بولس: «لَيْسَ

أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلَّا بِالرُّوحِ أَتْقُدُسِ» (اكورنثوس ١٢ : ٣).

أعطيك مفاتيح الملكوت

• «فَأَجَابَ سِمَعَانُ بَطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمَعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَنَّ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بَطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ». حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلَامِيذَهُ أَنْ لَا يَقُولُوا لِأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (متى ١٦ : ١٦-٢٠).

ثم كرر المسيح لبطرس ذِكرَ الإسم الذي دعاه به بياناً لثباته (بطرس معناه: صخرة) وكان المسيح يقول لرسوله المقدم: «أنت يا بطرس قد برهنت ثباتك الصخري في هذه الأحوال الصعبة لما كررت بيان حقيقة كوني في شخصي الواحد: المسيح البشري وابن الله الحيّ. وأنا أصرح لك أنني سأبني كنيسة على صخرة هذه الحقيقة الجوهرية التي نطقت بها الآن، بعد أن أعلنت لك من أبي الذي في السماوات. وكل مقاومات العالم، وقوات الجحيم إلى آخر الأيام لا يمكن أن تتغلب على الكنيسة المؤسسة على هذه الحقيقة. أصرح لك وللذين نُبت عنهم في الجواب، بأني قد عينتكم لتتوبوا عني وتكملوا عملي بعد صعودي إلى السماء. أعطيتكم مفاتيح ملكوت السماوات، لتفتحوا باب الخلاص بتبشيركم في كل البلدان، وتدخلوا إلى كنيسة التي ترونهم من أهل الخلاص، لأنهم أتموا شروط الخلاص. أخولكم سلطاناً لتصرحوا بالهلاك الأبدي للذين يرفضون شروط الخلاص، ويتأخرون عن التوبة والإيمان والصلاح. تحلون وتربطون هذه أيضاً بواسطة كتابكم الإنجيل -

يقودكم إلهام الروح الإلهي. فكل ما تضعونه في هذا الكتاب يكون مصدقاً في السماء، وكل ما تتركونه يكون متروكاً في السماء. لأن ما تكتبونه من الواجبات والمحرمات يكون ما سمعتموه مني، أو ما تأخذونه بإلهام روجي، فيصلح أن يكون قانون كنيسة إلى كل الأزمان. وسأعطيكم نصيباً خصوصياً وكافياً من روح النبوة وتمييز الأرواح، تأهيلاً لهذه المهمة الفائقة. وأجعلكم أهلاً له بسكب الروح القدس عليكم سكباً عجيماً، تحقق لكم ولجميع الناس، أنكم نوابي المقوضين. وسأمنحكم ختماً لكل ذلك: قوة لفعل المعجزات العظيمة. أسلمكم هذا العمل الخطير لأنني أسندكم فيه فتستطيعونه».

ماذا سيفعل المسيح؟

• «وَأَبْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً، وَيُرْفَضَ مِنْ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. وَقَالَ الْقَوْلُ عِلَانِيَةً، فَأَخَذَهُ بَطْرُسُ إِلَيْهِ وَأَبْتَدَأَ يَنْتَهَرُهُ. فَأَلْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلَامِيذَهُ، فَأَنْتَهَرَ بَطْرُسُ قَائِلاً: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ، لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» (مرقس ٨: ٣١-٣٣).

بعد اعتراف بطرس هذا، طلب المسيح من تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح، لأن ساعته لم تأت بعد. ثم أعلن لهم لأول مرة صريحاً غاية مجيئه من السماء، فابتدأ يعلمهم أنه سيتألم كثيراً في أورشليم ويرفضه الرؤساء ويقتلونه ثم يقوم في اليوم الثالث. انتظر إلى أن يرسخ في قلوبهم اليقين بسرّ تأسسه، ويعترفون به بلسانهم صريحاً ونهائياً قبل أن يعلن لهم أمر آلامه وموته ثم قيامته. لأن فهم عمل الفداء بموته يتوقف على تأسسه - أي طبيعته المزدوجة. فإن لم يعرفوه المسيح ابن الله وابن الإنسان، لا يدركون معنى موته وقيامته. وكل من يرفض حقيقة التأسس لا يترك مكاناً للفداء. لذلك ترى الذين ينكرون لاهوت المسيح ينكرون أيضاً كفارته،

لأن القضيتين مرتبطتان برباط لا يُحل.

لكن هذا الإعلان الجديد خالف كل آمال التلاميذ، فلم يقدر بطرس أن يسكت، بل تجاسر وأخذ المسيح على جانب وابتدأ ينتهره. يا للعجب! إن الذي اعترف في هذه الساعة أن هذا السيد هو ليس المسيح العظيم فقط، بل ابن الله الحي، ينتهره ويكذِّبه بقوله: «حاشاك يا رب! لا يكون لك هذا». فما رآه بطرس في نفسه غيره حبية نحو سيده، كان بالحقيقة انتصاراً شيطانياً فتح له بطرس الباب، لأن الأسد الزائر إبليس كامنٌ لهذا الرسول المقدام، فوثب عليه في ساعة ارتفاعه، وأوقعه إلى الأرض مهشماً. كان خيراً لكل ناجح وممدوح ومرتفع لو تحدر من حيل الشيطان لإسقاطه. ولنا هذا التحذير في قول الرسول: «مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ فَلْيَنْظُرْ أَنْ لَا يَسْقُطَ» (١كورنثوس ١٠: ١٢). وقال سليمان الحكيم: «قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السَّقُوطِ تَشَامُحُ الرُّوحِ» (أمثال ١٦: ١٨).

لم يحتمل المسيح هذا الكلام بل انتهر الشيطان الذي تكلم في بطرس. ووبخ بطرس توبيخاً مرأً، وقال له: «أَذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانَ، (أنت معثرة لي) لِأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». رأى المسيح عالم الخفايا أن نوايا بطرس لم تخل من حب المجد العالمي، فاستحق هذا التوبيخ الصارم. ولأنه تلميذ حقيقي احتمله بمحبة، ولذلك وبخه. قال الحكيم: «وَبَخِ حَكِيمًا فَيُحِبِّكَ» (أمثال ٩: ٨). وأيضاً: «وَبَخِ فَهِيمًا فَيَفْهَمَ مَعْرِفَةً» (أمثال ١٩: ٢٥).

شروط اتباع المسيح

• «وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يَهْلِكُهَا، وَمَنْ يَهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ

فِدَاءٌ عَنِ نَفْسِهِ؟» (مرقس ٨ : ٣٤-٣٧).

ثم دعا المسيح تلاميذه مع الجمع الذي كان قد انفرد عنه، وأعلن لهم الشروط الثلاثة الشهيرة المطلوبة من تابعيه.

١. الشرط الأول: «إنكار الذات» أي تسليم زمام الذات والحياة له. لما أنكر بطرس المسيح قال: «لا أعرفه». ومن يتبع المسيح حقاً وينكر نفسه يقول: لا أعرف نفسي حاكماً في حياتي، بل ربي هو الحاكم. سأعطي كل السيطرة على حياتي للمسيح الذي أحبني.

٢. الشرط الثاني: حَمَل الصليب يومياً. وهذا بالأكثر هو التمثُّل بالمسيح الذي حمل صليباً لم يضعه آخر عليه، بل هو قصده وأقامه وحمله حباً ليخلص النفوس من الخطيئة والهلاك. وَحَمَل الصليب وراء المسيح هو الإقدام على المصائب والمتاعب الجسدية - حتى الموت - تطوعاً لا إرغاماً، متى كان ذلك اهتماماً بتخليص النفوس، فليس هذا الشرط (في معظمه) احتمال صليب يوضع علينا، بل حمل صليب نقصده ونرفعه باختيارنا لخير الآخرين.

٣. الشرط الثالث: اتِّبَاع المسيح، أي السير في خطواته بالتدقيق، دون كلل أو فتور، ودون تردُّد أو ارتداد. هو الراعي الذي يتقدم خرافه فتسير وراءه أمينة وأمنة. ثم أوضح المسيح أن هذه الشروط الثلاثة مبنية على حقيقة رئيسية في شريعة النعمة، وهي أن الذي يطلب السلامة أولاً يخسرها، والذي يطلب الخدمة أولاً يجد السلامة أيضاً. والذي يتهم أولاً بأن يحمي ذاته لا يحميه الرب فلا يسلم، أما الذي يتفرغ أولاً لخدمة الرب ويرضى أن يهجم على المخاطر في سبيل هذه الخدمة، فهذا يحميه الرب فيسلم.

ثم قال السيد المسيح: « مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنِ نَفْسِهِ؟ » - هنا يسأل المسيح سامعيه: هل قيمة

العالم بأسره تساوي قيمة نفس واحدة؟ والجواب: هذا غير ممكن، طالما العالم وكل ما فيه من الخيرات والأمجاد يزول، بينما النفس خالدة تبقى إلى الأبد. إذاً ما أعظم غباوة الذي يهمل أمور النفس في سيره وراء الأرباح العالمية. لأنه لو ربح العالم كله ثم أراد أن يشتري به الخلاص، يجد ذلك مستحيلاً.

وأخيراً أنذر المسيح سامعيه أن لا يستحوا به ولا بكلامه. ولو استهان ذلك الجيل الفاسق الخاطيء به وبهم، فإنه سيجيء يوماً في مجد أبيه مع الملائكة ليجازي كل واحد حسب عمله، ويستحي بالذي استحي به أولاً.

٢ - المسيح على جبل التجلي

• «وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَحَذَّ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُتْفَرِّدِينَ وَحَدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ فُدَّامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيضَاءَ جِدًّا كَالثَّلَاجِ، لَا يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَبْيِضَ مِثْلَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا. فَلْنُصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ، نَكَ وَاحِدَةً وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَإِلِيَّا وَاحِدَةً». لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَعِبِينَ. وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ أَسْمَعُوا». فَظَنُّوا حَوْلَهُمْ بَعْتَهُ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا غَيْرَ يَسُوعَ وَحَدَهُ مَعَهُمْ» (مرقس ٩: ٢-٨).

أعلن المسيح لتلاميذه أنه سيقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم. ولكن التلاميذ رفضوا الفكرة بلسان زعيمهم بطرس.

وأراد المسيح أن يثبت لهم ضرورة صليبه. فأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعد بهم إلى جبل عال. أما التلاميذ التسعة الآخرون فتركهم مع الجمهور عند أسفل الجبل.

ولا نعرف كل تفاصيل ما حدث على هذا الجبل الذي سماه بعدئذ «الجبل المقدس» (٢بطرس ١: ١٨). لكن يرجح أن الأربعة بلغوا قمة الجبل في آخر النهار. وبينما كان المسيح منصرفاً بكليته إلى الصلاة، تتقلَّ التلاميذ الثلاثة بالنوم. ولو علموا بخسارتهم في هذا النوم، لسهروا معه ولم يتركوه وحده في صلاته - لأنه بينما هم مثقلون بالنوم، طرأ على هيئته الطبيعية تغيير عجيب، فكأنه خلع ستار الاتضاع الوقتي، وأبرق نور مجده الأصلي الحقيقي. أي أن الأب استجاب صلاته ومجده لينشط ويثبت تلاميذه أيضاً. مجده بهيئته التي تغيرت وبصحبة موسى

وإيليا، لأنه لم يرسل له ملاكاً حسب المؤلف في تاريخ شعبه - بل أرسل له رجلين ظهرا بمجد، وهما موسى زعيم الشريعة وإيليا زعيم الأنبياء. موسى كليم الله وفخر بني إسرائيل الأعظم، المتّصف بالحلم والوداعة. هذا دفنه الله قبل هذا الحادث بنحو ١٥٠٠ سنة في رأس جبل، ولا يُعرف قبره إلى هذا اليوم، وربما تمجد جسده دون أن يرى فساداً. وإيليا رجل الله الجبار المليء بالنشاط والغيرة ومحاربة الشر، حتى أنه سُمّي بالنبي الناري، الذي صعد إلى السماء قبل هذا الحادث بنحو ألف سنة في مركبة نارية، ولم يمسه الموت الطبيعي. أعاد الله هذين الرجلين من عالم الأرواح إلى الأرض ليتكلّموا مع الابن الوحيد في موضوع صليب المسيح.

الصليب موضوع الحديث

كان موضوع الحديث الذي دار بين هؤلاء على مقربة من الثلاثة النائمين، إعلان موت المسيح العتيد، الذي أزعج التلاميذ. والاسم الذي وضعه الإنجيل هنا للموت هو «الخروج»، وهو نفس الاسم الذي أتى في التوراة لإنتقال بني إسرائيل قديماً من عبودية مصر إلى أرض الميعاد، إذ قال النشير لوقا إن موسى وإيليا تكلمتا معه عن: «خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يَكْمَلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ» (لوقا ٩: ٣١). أي أن موت المسيح لا يكون قسراً كغيره، بل اختياراً، كعمل يقصده ويكمله.

في تلك الساعة فقط في التاريخ كله، تمثلت الكنيسة المسيحية الواحدة الجامعة التي تكلم عنها المسيح، لأن رأس الكنيسة الوحيد وقف على هذا الجبل يتكلم مع زعيمة العهد القديم اللذين يمثلان قيم الكنيسة الموجودة في السماء، على مسمع الرسل الثلاثة الممتازين، زعماء العهد الجديد الذين يمثلون القسم الأرضي من هذه الكنيسة الواحدة.

ولا عجب أن افتخر بولس بموضوع هذه المحادثة وأهميته أيضاً. إذ قال: «لَمْ أَغْزِمَ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئاً بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوباً» (١كورنثوس ٢: ٢)

ويردد الملائكة والقديسون في السماء في تسابيحهم ذكر هذا الموت المجيد الذي هو إكليل فخر المسيح الممتاز، والذي لأجله يحبه الأب. ولا ريب أن الذين يسكتون عن موت المسيح الفدائي أو ينكرونه، يخسرون ويُخسرون كل من ينتمي إليهم، فقد قال هو: «إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتَ فِيهَا تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يوحنا ١٢ : ٢٤).

دهشة التلاميذ

ربما كان المسيح قد انتهى من حديثه مع زائريه السماويين لما أفاق تلاميذه الثلاثة من نومهم الثقيل، ورأوا فجأة أن سيدهم لم يعد جاثياً يصلي كما كان عندما غلبهم النعاس. ولما نظروه يتكلم مع شخصين لم يصعدا معهم إلى هذا الجبل العالي، وعرفوهما، كان لرؤيتهما وقعٌ أعظم في أعينهم مما لو كانا ملاكين. وها هم الآن يبصرون في يقظة، وليس في رؤيا، مجداً جديداً عجبياً لرفيقهم وسيدهم المسيح مع موسى وإيليا مسرلين أيضاً بمجد سماوي. ومما زاد أسفهم كثيراً على ما خسروه من هذا المجد في نومهم، ملاحظتهم أن موسى وإيليا يُهمَّان بالانصراف. ولهذا لا نتعجب أن بطرس العجول الجسور يحاول منعهما من الذهاب.

قد تعودنا أن نرى بطرس تائهاً عن الصواب في تجاسره. أما الآن فهو يتطفل ويقدم للمسيح رأياً للعمل. فاته أن الواجب عليه أن ينتظر آراء المسيح وإرادته الكاملة، لا أن يقدم آراءه للمسيح، كأنه أوفر حكمة من سيده. فاقترح أن يشتغل مع رفيقه في نصب أكواخ مثل التي تعودوا أن ينصبوها في ضواحي أورشليم في عيد المظال. فقال: «يا رب، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا». وقد درج هذا القول على السنة المؤمنين في كل آن ومكان، متى حضروا في أماكن الصلاة.

أما الجواب على اقتراحه فلم يأت من المسيح بل من السماء. لأنه «فيما هو يتكلم ظللتهم سحابة نيرة، فخافوا لما دخلوا في السحابة». ثم زاد خوفهم جداً وسقطوا

على وجوههم عندما سمعوا من وسط السحابة صوتاً من شخص غير منظور، قال في آذانهم: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت. له اسمعوا».

عندما أعلن المسيح أنه سيصلب انتهره بطرس قائلاً: حاشاك يا رب. ولكن الصوت الإلهي على جبل التجلي جاء يقول عن المسيح: «له اسمعوا». فكأن الله يقول للتلاميذ: «اقبلوا ما يقوله المسيح لكم! إن الصليب ضرورة حتمية!».

شهادة السماء لابن الله

في الأسبوع الماضي وافق المسيح على شهادتهم أنه ابن الله وليس ابن الإنسان فقط. فالآن يثبت صوت من السماء تلك الشهادة. فصار برهاناً حسيّاً كاملاً على ما شهدته عيونهم وسمعته آذانهم على هذا الجبل. فهل بقي مكانٌ بعد للشك؟ لما جاهر هؤلاء فيما بعد بهذه الحقيقة أسندوا تأكدهم منها إلى هذا الحادث الفريد.

أخذ التلاميذ من الصوت السماوي درساً مهماً جداً، وهو أن الاهتمام الأعظم يجب أن ينصرف إلى نوال الرضى الإلهي لا البشري، وكل من نال الرضى الإلهي لا يبالي بغيب البشر، حتى أعظمهم، ولا بمقاومتهم حتى أمرها! في قول الصوت «له اسمعوا» أتاهم تصديق على ما فعلوه من عدم استماعهم لرؤساء الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة، وعلى إصغائهم إلى المسيح بدلاً منهم. ومع وجود موسى وإيليا معهم لم يكن الأمر الإلهي «لهما اسمعوا». أفلا يرُن في مسمع كل مؤمن هذا الصوت الإلهي القائل عن المسيح: «له اسمعوا». فيجعله يعدل عن الإصغاء إلى التعليم البشري، ما لم يكن ذلك التعليم صدى لتعليم المعلم الإلهي!

وبينما كان هؤلاء الثلاثة ساقطين على وجوههم خوفاً، ارتفعت السحابة نقلت موسى وإيليا رجوعاً إلى السماء، إذ قد أتتا رسالتهما. فلم تؤيد السماء احتفاء التلاميذ الثلاثة بهما، بل كان الصوت الذي أمرهم أن يسمعوا لابن الحبيب بمثابة توبيخ لطيف على تمسكهم بموسى وإيليا، كأنهم يربحون بوجودهما أكثر مما هم

حاصلون عليه. وكان الصوت يقول لهم: إن مستقبلكم لا يرتبط بالذين لا يدومون معكم، مثل موسى وإيليا، بل بالذي هو رفيقكم الدائم، وإن كنتم لستم تعرفون قيمته بعد.

لكنهم لم يدرؤا بارتفاع السحابة وذهاب موسى وإيليا إلا بعد أن لمسهم المسيح وقال: «قوموا ولا تخافوا» فرفعوا أعينهم ونظروا حولهم بغتة، ولم يروا إلا المسيح وحده معهم. فنعّم الخوف الذي تعقبه الطمأنينة من الله! ونعم البصر الذي يحدق بالمسيح وحده، كما جرى لبطرس ويعقوب ويوحنا في هذه الساعة المباركة. لم يروا إلا الذي هو الكل وفي الكل، إذ ليست هناك حاجة إلى غيره، المخلص والشفيع وسيد حياتنا.

برهان الخلود

زال كل شك بخصوص الخلود من أفكار التلاميذ بعد أن رأوا موسى وإيليا عياناً. ولما كان الصدوقيون ينكرون الخلود والأرواح، كان هذا البرهان المناقض لأضاليلهم غاية في الأهمية أمام الذين سيكونون معلمي الكنيسة المسيحية الجديدة. واستفاد التلاميذ أيضاً أنه يوجد جسد ممد مرتبط بالجسد الأرضي الأصلي، وغير مقيد بالقيود التي كان مقيداً بها هنا في كل حركاته.

وقد تبرهن للتلاميذ أيضاً أن الذين ماتوا في الإيمان ليسوا في حالة سُبات، بانتظار يوم القيامة كما يزعم البعض، بل هم أمام العرش، مستعدون لخدمة الله ومقاصده، كما أنه سيكون لجميع المؤمنين أجساداً مجيدة وراء القبر.

٣ - المسيح يشفي مسكوناً بروح نجس

• «وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلَامِيذِ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا حَوْلَهُمْ وَكَتَبَةً يُخَاوِرُونَهُمْ. وَلِلْوَقْتِ كُلِّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا، وَرَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ. فَسَأَلَ الْكَتَبَةَ: «بِمَاذَا تُخَاوِرُونَهُمْ؟» فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: «يَا مُعَلِّمَ، قَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسٌ، وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمْرِقُهُ فَيَزِيدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَبْيَسُ. فَقُلْتُ لِتَّلَامِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا». فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الْجِبِلُّ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلِكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ!». فَقَدِّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَهُ لِلْوَقْتِ صَرَعهَ الرُّوحُ، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ يَتَمَرَّعُ وَيُزِيدُ. فَسَأَلَ أَبَاهُ: «كَمْ مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هَذَا؟» فَقَالَ: «مُنْذُ صِبَاهُ. وَكَثِيرًا مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ. لَكِنْ إِنْ كُنْتُ تَسْتَطِيعُ شَيْئًا فَتَحْنَنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ». فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بَدْمُوعُ وَقَالَ: «أُؤْمِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي». فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ الْجَمْعَ يَتَرَكَضُونَ، انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلًا لَهُ: «أَيُّهَا الرُّوحُ الْأَخْرَسُ الْأَصْمُ، أَنَا أَمْرُكَ: أَخْرِجْ مِنْهُ وَلَا تَدْخُلْهُ أَيْضًا!» فَصَرَخَ وَصَرَعهَ شَدِيدًا وَخَرَجَ، فَصَارَ كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: إِنَّهُ مَاتَ. فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ. وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتًا سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ: «لِمَاذَا لَمْ نُقَدِّرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا الْجِنْسُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مرقس ٩: ١٤-٢٩).

صعد المسيح من وادي الاتضاع العميق لبرية التجربة إلى جبل التجلي العالي جداً، لينزل منه إلى وادي ذل أعمق من الأول في نهاية خدمته، عند آلامه وموته على الصليب. وكما كان المجد على رأس هذا الجبل كان الهوان عند سفحه، لأنه بينما كان بطرس ويعقوب ويوحنا في نعيم، كان رفاقوهم التسعة في جحيم. لم ينل

هؤلاء شيئاً مما حظي به الثلاثة تشبيهاً لإيمانهم بالمسيح، بعد الإنباء بموته. فيظهر أن إيمانهم تزرع لأن المسيح كان قد أعطاهم جميعاً قوة ليعملوا المعجزات قبل هذا الوقت. والآن نراهم يحاولون في غياب سيدهم أن يُخرجوا روحاً نجساً أخرس وأصم يسكن شاباً يقدمه إليهم والده، لكنهم فشلوا لضعف إيمانهم. وأكسبتهم خيبتهم استهزاء خصومهم بين الجمهور، فباتوا في خجل عظيم. وزاد عذابهم لما حاورهم هؤلاء العلماء وطرحوا عليهم أسئلة يعجز عن حلها البسطاء نظيرهم. وشعر الناس باقتراب المسيح ورفقائه نازلين من على الجبل ومعهم جمهور كان قد استقبلهم قبل وصولهم إلى التلاميذ التسعة. ومع علم المسيح بما جرى، طلب من الكتبة أن يخبروه بموضوع محاورتهم مع تلاميذه. لكن أبا الولد المصاب لم يعطهم الفرصة للجواب، إذ تقدم وجثا للمسيح وصرخ طالباً منه أن يفعل له ما عجز التلاميذ عن فعله. وقال للمسيح إن ولده وحيد وإن روحاً شريراً يسكنه، وحيثما أدركه يمزقه ويصرعه فيزيد ويصرّ بأسنانه ويببس ويتألم، وبالجهد يفارقه مرضضاً إياه، وكثيراً ما ألقاه في النار وفي الماء ليهلكه.

إن سلمنا بالعلاقة الكبيرة بين الأمراض الجسدية والروحية في كثير من الأحوال، يسهل علينا أن نفهم أن مرض هذا الشاب من خرس وصمم ناتج عن سلطة شيطانية، لذلك نرى المسيح يعتني ليس بإزالة الأعراض، بل بإزالة الأسباب أولاً. واستخدم أب الولد فشل التلاميذ التسعة حجة ثانية لاستجاده بالمسيح، فكان جواب المسيح توبيخاً عاماً للحاضرين، يشمل الكتبة الذين حاوروا تلاميذه، ويشمل الذين فشلوا في ما باشروه، ويشمل الأب الذي قصر في إيمانه. قال المسيح: «أبها الجيل غير المؤمن والملتوي، إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتلمكم؟». فأثر هذا الكلام في الأب ليتواضع، استعداداً لتوليد الإيمان في قلبه. لكن المسيح لم يتركه في ذلك، بل شجعه بقوله: «قدم ابنك إلى هنا». أليس هذا صوت المسيح على الدوام لكل الآباء: «قدّم ولدك إلى هنا»؟ وهذا التقديم هو ما يفعله الوالدون عندما يأتون بأولادهم القاصرين إلى العماد المسيحي. وهذا ما يفعله بالصلاة والإيمان كل

مسيحي لخلص ذويه الذين لا يزالون في قيود إبليس.

عمل المسيح على تنشيط إيمان الأب، وإظهار محبته له بسؤال بسيط عن مدة استيلاء هذه المصيبة على ابنه. فدلّ جواب الأب على أنه لم يكن يعرف المسيح من قبل، ولا بد أنه فهم من التسعة أن المسيح أعطاهم سلطاناً كافياً لإخراج الأرواح. فلما وجدهم عاجزين عن شفاء ابنه ظنّ أن المسيح سيعجز أيضاً. لكن المسيح قال له: «كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ». فكانه يقول للرجل: «ليس الخلل في استطاعتي أن أشفي ابنك، بل في استطاعتك أن تؤمن». ففعل دواء هذا الطبيب فعله الشافي في هذه النفس العليلة، إذ صرخ أب الولد بدموع قائلاً: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي». فأصاب في طلبه تقوية إيمانه.

صراخ هذا الرجل اليأس شعار مؤثر وصلاة جميلة لكل من يشعر بأهمية الإيمان وبتقصيره فيه، لأن الإيمان القلبي مفتاح الخيرات الإلهية. ليس للمفتاح فضل، لكنه الوساطة الوحيدة والكافية للحصول على كل ما في مخازن الله من بركات. وصارت دموع هذا الرجل مثلاً للتغيير الروحي في القلب الذي كان يرافق معجزات المسيح الشفائية. وصحّ فيه قول المرنم: «الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالِدُمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالْإِبْتِهَاجِ» (مزمو ١٢٦: ٥). فانتهر المسيح الروح النجس بسُلطان أمر مطاع قائلاً: «أَيُّهَا الرُّوحُ الْأَخْرَسُ الْأَصْمُ، أَنَا أَمْرُكَ: أَخْرُجْ مِنْهُ وَلَا تَدْخُلْهُ أَيْضاً!».

ف عند ذلك بذل الشيطان منتهى قدرته قبل خروجه لكي يعذب الولد ويهلكه إن أمكن، لكنه وجد هناك من هو أقوى منه، الذي قيده لأنه أتى لينقض أعماله، وكما تتقدم أظلم ساعات الليل فجر النهار، كان أمر هذا الولد، لأن الشيطان صرخ وصرعه شديداً قبل خروجه، حتى قال كثيرون إنه مات. أما المسيح فمدّ تلك اليد المحسنة والموصّلة بينه وبين اليائسين، والحلقة التي تربط المعطي بالمستعطي، ونشل هذا الولد من باب الهاوية، وأقامه سالماً صحيحاً، وسلمه إلى أبيه. إن الخاطيء المتسلط عليه إبليس لا يسمع الأصوات الإلهية ولا ينطق بمجد الله،

لكن الذين يحررهم المسيح من هذه السلطة يحررهم أيضاً من الخرس والصمم الروحيين، فيسمعون تعليمه ويتكلمون بأمجاده.

عرف الجميع أن المسيح عمل هذا باسم أبيه ولمجده، لذلك بُهتوا من عظمة الله. في هذا الكلام دليل على أن أغلب الجمهور في هذه البلاد الأممية كانوا وثنيين، ورأوا للمرة الأولى برهاناً ملموساً على الفرق بين آلهتهم الباطلة، وإله إسرائيل الحي القادر على كل شيء.

بعد ذلك دخل المسيح وتلاميذه بيتاً منفردين فسأله التسعة عن سبب فشلهم، لأنهم لم يتعلموا بعد أن سبب كل فشل لا يكون إلا داخلياً، لأن الفشل الناتج عن أسباب خارجية ليس فشلاً حقيقياً. ولم ينتبهوا لينظروا في قلوبهم ليجدوا علة هزيمتهم. ويُحتمل أن حب الذات منعهم عن السرور بنجاح المسيح في ما عجزوا عنه. ولما كان عدم إيمانهم سبب فشلهم قال المسيح لهم: «هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم».

في خاتمة كلامه أعلن المسيح قيمة الإيمان، بقوله: «لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ» (متى ١٧: ٢٠). لا يخلو هذا القول من صعوبة في تفسيره، لكن لا يظن أحد أن المسيح قصد به المعنى الحرفي، إنما الأقرب إلى الصواب أنه قصد المعنى الروحي المعنوي، فكم من جبال صعوبات انتقلت وزالت من أمام المؤمنين.

المسيح يدفع الضرائب

• «وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفَرِنَاخُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمِينَ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا: «أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكَ الدِّرْهَمِينَ؟» قَالَ: «بَلَى». فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «مَاذَا تَنْظُرُنَّ يَا سِمَعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَلُوكُ الْأَرْضِ الْجَبَايَةَ أَوْ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الْأَجَانِبِ؟» قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «مِنْ

الأجانبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «فَإِذَا الْبُنُونَ أَحْرَارًا. وَلَكِنْ لِنَا نُغَيِّرُهُمْ، أَدَهَبَ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقَى صِنَارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلًا خُذَهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَهَا تَجِدُ إِسْتَارًا، فَخُذْهَا وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ» (متى ١٧: ٢٤-٢٧).

رجع المسيح إلى وطنه كفر ناحوم بعد غياب طويل، وكان جباة مال الهيكل ينتظرون رجوعه ليأخذوا منه الدرهمين المفروضين على كل يهودي فوق سن العشرين. ويجوز أن هذا الطلب تقدم الآن لأول مرة بتحريك من الرؤساء، ليحقروا المسيح بحرمانه من حقوق الإعفاء الممنوحة للأنبياء ورؤساء الدين، أو لاتخاذ حجة لضرره إن رفض الدفع. ويجوز أنه كان يدفع سنوياً هذه الكمية الزهيدة. فالتقى الجباة ببطرس خارجاً، وسأله: «أما يوفي معلمك الدرهمين، حسب عادته؟»

كان على بطرس أن يسأل المسيح قبل أن يجاوبهم، لكنه تطفل وقال لهم: «نعم». فلما عاد إلى البيت بين المسيح له خطأه. وسأله: «ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية؟ هل تؤخذ من بني الملك؟ أو من رعاياه الذين هم أجانب بالنسبة إلى أولاده». فأجاب بطرس: «من الأجانب» فقال المسيح: «إذا البنون أحرار. قد اعترفت أني ابن الله. فكيف يطلبون مني جزية لبيت أبي؟».

اكتفى المسيح بأن صرح بحقوقه ولم يتشبت بها، فلو أصر على عدم الدفع يُعثر الآخرين، لأن الرؤساء والجمهور لا يعترفون به كالمسيح. فيكون رفضه دفع الجزية في نظرهم تمرداً وتحقيراً للهيكل والدين. ولم تكن هذه الجزية من تقاليد الشيوخ، ليكون في رفضها فائدة تعليمية، بل هي من نظام موسى الأصلي، وهو لا يقصد إلغاء الفرائض الخارجية التي هي بوصايا إلهية، إلا بعد إتمامها وإكمال عمله الفدائي. فامتثل للنظام، وأعطى بذلك مثلاً لتابعيه أن لا يتشبتوا بحقوقهم متى خشوا من ذلك حدوث ضرر أو خصام أو شكوك. فالسير على هذه القاعدة يزيل القسم الأعظم من المشاكل والخصومات بين الناس.

قد يكون الصندوق الذي كان في عهدة الإسخريوطي فارغاً في هذا الوقت، أو

أن المسيح أراد أن يقرن خضوعه للنظام بمعجزة تقوي إيمان بطرس، وتعلن أن هذا الخضوع لم يكن قسراً. فمع خضوعه للظلم في ما يتعلق ببيت أبيه المتواضع، المسمى بالهيكل، يستعمل سلطانه الشرعي في بيت أبيه الأوسع الذي هو الخليقة. لذلك أمر بطرس أن يحضر المطلوب بواسطة مهنته - ليس بصيد رسمي بالشباك والسفينة، بل بالصنارة، لأجل السرعة. وأخبره أنه عندما يفتح فم أول سمكة يصطادها، يجد إستاراً يساوي أربعة دراهم تكفي لدفع الضريبة المفروضة عليه وعلى سيده. وقال: «أعطهم عني وعنك» لا: «عنا» لأن بطرس مكلف بالدفع قانونياً، ولكن المسيح غير مكلف، فيكون دفعه كرمماً منه وتطوعاً.

٤ - المسيح يعلم عن العظمة الحقيقية

• «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقْدَمُ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؟» فَدَعَا يَسُوعُ إِلَيْهِ وَوَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الْأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَمَنْ قَبِلَ وَوَلَدًا وَاحِدًا مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي» (متى ١٨: ١-٥).

تحدث بعض التلاميذ عند رجوعهم من جبل التجلي، على غير مسمع من المسيح، في من هو الأعظم بينهم. ومن الطبيعي أن التلاميذ الذين لم يدعوا لأنفسهم الأولوية، كانوا ينتصرون للذين يريدون لأنفسهم الكرامة الممتازة، فأوصلهم الحسد إلى الاحتجاج الذي ربما بنوه على بعض الامتيازات الشخصية في معاملات المسيح وكلامه. فما أشد هذه الضربة على قلب المسيح الرقيق المحب بوقوع هذه المشاحنة الصببانية، بين الذين قد اصطفاهم من بين كل البشر رسلاً له، ويا له من هبوط عظيم في الآمال التي تعلقت عليهم!

وفاتح المسيح بعض تلاميذه في ما عسى أن يكون موضوع جدالهم الحماسي الذي لن يسمعه، فسكتوا. كان يجب عليهم أن يعترفوا ويصلحوا زلتهم، فقد قال إمام الحكماء سليمان: «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لَا يَنْجَحْ، وَمَنْ يُقَرِّبُهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمْ» (أمثال ٢٨: ١٣). وقال نبي الله داود: «لَمَّا سَكَّتْ بَلِيَّتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِ الْيَوْمِ كُلِّهِ.. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذُنُوبِي» وَأَنْتِ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيئَتِي» (مزمو ٣٢: ٣ و ٥) لكن بعد سكوتهم تقدموا وطلبوا إليه أن يفيدهم عن أساس العظمة في ملكوت السماوات ومن هو الأعظم فيه، فجمع الاثنى عشر جميعاً، ثم دعا ولداً إليه وأوقفه في الوسط ليراه الجميع، وكأنه يقول إن العظمة في ملكوته لا تكون إلا للذي لا يطلبها، وأن

لا أحد يدخل هذا الملكوت إلا من يرجع إليه ويصير مثل ولد.

من أوصاف الولد بساطة التواضع بدلاً من ادعاء العظمة، وعدم المبالاة برفعة المقام، وسهولة الانقياد والطاعة دون تردد أو اعتراض، وسرعة المسامحة على الأذية بدلاً من التشبث بالانتقام والحقد طويلاً، والتطلع للأمام برجاء والنظر إلى المستقبل بسرور بدلاً من القنوط واليأس، والاكتفاء بالخير القليل بدلاً من الطمع، وتصديق ما يسمعه بدلاً من الشكوك والظنون السيئة.

لذلك قال المسيح: «الأصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيماً». وقد مرّت تسعة عشر قرناً على البشر ولا يزال هذا التعليم مجهولاً من الكثيرين، ولم يفهم في التواضع إلا عدد قليل.. حتى تلاميذ المسيح أنفسهم لم يستفيدوا في ذلك الوقت إلا قليلاً من هذا التعليم، لأنهم جددوا هذه المجادلة فيما بعد. وفي هذا الوقت طلبوا أن يعرفوا من منهم يكون الأعظم في ملكوت السماوات. لذلك كانوا في خطر، ليس أن يفقدوا الامتياز فقط، بل أن يفقدوا الدخول إلى ذلك الملكوت. وما دام الذي يطلب العظمة لنفسه ولا يرجع ويصير مثل الأولاد لن يدخل ملكوت السماوات، فإن عليهم أن يتركوا السؤال عن العظمة، ويهتموا بالسؤال عن دخول الملكوت.

ثم علمهم المسيح شيئاً عن كرامة اسمه، حتى أن كل ما يصنعه أحد باسمه يُحسب إكراماً له. ومن يكرم صغيراً باسمه يكون قد أكرمه. ومن يكرمه يكون قد أكرم الأب الذي أرسله. فما أجمل هذه الرابطة التي تربط الأب بالابن، ثم الابن بأصغر المؤمنين باسمه.

• «وَقَالَ يُوْحَنَّا: «يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِدًا يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ وَهُوَ لَيْسَ يَتَّبَعُنَا، فَمَنْعَاهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَتَّبَعُنَا». فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَمْنَعُوهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعاً أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا. لِأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا. لِأَنَّ مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لِأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَهُ» (مرقس ٩: ٣٨-٤١).

على أثر هذا الكلام، أخبره يوحنا عما جرى معه ومع بعض رفقائه، لما التقوا بإنسان يخرج شياطين باسم المسيح، وهو ليس من تابعيه ظاهراً، ظناً منهم أن لا حقَّ لغيرهم في هذا الامتياز الذي منحه المسيح لهم. لكن طالما لا يقدر إلا المسيح أن يعطي هذا السلطان، فلا مانع من أن يكون قد أخذه من المسيح على غير علمهم. وأن المسيح أجاز له أن يعمل باسمه دون أن يرافقه، ودون أن يعرف التلاميذ به. وقد خطأ المسيح يوحنا، وأظهر أن من ليس عليه فهو معه. أي أن لا حياد بالنسبة لملكوت البر. فلا يصحُّ أن يُقال مطلقاً في الدين: «لا معنا ولا علينا». والواجب على يوحنا أن يعرف أن كل إنسان صالح يسمِّي اسم المسيح سنداً لعمله، يسنده المسيح، لأن عمله يكون عزيزاً لدى المسيح. وحامل هذا الاسم باستحقاق يكون تحت حماية المسيح، وكل من يؤذيه يجازيه الملك، ويكافئ كل من يقدم خدمة باسمه.

تحذير من العثرات

• «وَمَنْ أَعْتَرَّ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعْلَقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ. وَيَلِ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ. فَلَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِكِ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ. فَإِنْ أَعْتَرَّتْكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَأَقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجاً أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ وَلَكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلَانِ. وَإِنْ أَعْتَرَّتْكَ عَيْنُكَ فَأَقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تُلْقَى فِي جَهَنَّمَ النَّارِ وَلَكَ عَيْنَانِ» (متى ١٨ : ٦-٩).

ثم تطرَّق المسيح إلى موضوع آخر مهم جداً، وهو العثرات. وكان قد تكلم عنه في وعظه على الجبل، وكرره الآن كتعليم خاص للتلاميذ وحدهم. لقد أعطاهم نفسه قدوة لما جنبهم العثرة ودفع الجزية، ووبَّخهم على غلظهم لما أعتروا التلميذ

المجهول الذي كان يُخرج شياطين باسمه. ثم قال المسيح إن غرق الإنسان مثقلاً بحجر الرحي في لجة البحر، أفضل له من أن «يعثر أحد هؤلاء الصغار». ولا بد من أنه قصد بالإعثار أولاً أن يقود الإنسان غيره إلى الخطيئة، وقصد أيضاً الإهانة والتكدير في غير محله. فمن يفعل ذلك لأحد تلاميذه الحقيقيين ينال جزاءً مخيفاً، يجعله يتمنى أن يبدل العقاب - لو أمكن - بالغرق في قعر البحر.

ولكي لا يوَدِّد كلام المسيح أمالاً فارغة في تلاميذه، فيظنون أنهم يستطيعون إزالة العثرات من العالم تماماً، قال: «لا بد أن تأتي العثرات». فهل هناك عذر لمن يُعثر غيره لأن العثرات لا بد أن تأتي؟ أسرع المسيح وتلافى هذا الوهم فقال: «لكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة».

ثم نصح المسيح أن من تعثره يده فليقطعها، ومن تعثره عينه فيقلعها. وهذا بالطبع كلام مجازي، لأن قطع اليد أو قطع العين الحرفي لا يزيل الإثم الذي مركزه القلب، ففقط أعضاء الجسد لا يصلحها. يمكن أن يرتكب الإنسان جميع الخطايا في فكره وقلبه ولو قلع ليس العين اليمنى فقط، بل واليسرى أيضاً، وقطع يده اليمنى واليسرى أيضاً. فالإله الروح، الذي له وحده الحكم في أمر الخطيئة والهلاك، ينظر إلى ما في القلب وليس إلى ما في الأعضاء. والمقصود من هذا الكلام هو أن كل من يجزُّ الإنسان إلى الخطيئة يجب إبعاده ولو كان عزيزاً عند الإنسان، كعينه اليمنى أو يده اليمنى.

قصد الخالق أن تكون أعضاء الجسد بركة وآلة للخير في نفع الناس، لذلك يسمي الرسول بولس الأجساد هيكل للروح القدس (1كورنثوس 6: 19) فالذي يشوهها يُهين الهيكل وصانعه. إنه لا يطلب قلعاً لأعضاء الجسد، بل يطلب صيانتها وتكريسها لخدمته. وهذه الخدمة تتعذر على من يتلف هذه الأعضاء.

ثم قال المسيح إن كل من يعثر غيره يتعرّض لجهنم النار، حيث دودهم لا يموت والنار لا تُطفأ. وليس في هذا الكلام رائحة تهديد، بل هو تحذير وإنذار مقدّم

ممن أتى من السماء ليخلصنا من هذه الأبدية المرعبة. ولا يمكن أن محباً نظيره يبالغ في وصف المخاوف التي يخشى من أن تصيب الذين يحبهم.

تحذير من تعشير الصغار

• «لَا تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ. مَاذَا تَنْظُرُونَ؟ إِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ مِثَّةُ حُرُوفٍ، وَصَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا، أَفَلَا يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالْتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟ وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التِّسْعَةِ وَالْتِّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ. هَكَذَا لَيْسَتْ مِثِّيئَةٌ أَمَامَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ» (متى ١٨: ١٤-١٠).

ثم حذر المسيح تلاميذه من احتقار الصغار، لأن الله يعتني بهم، حتى أنه يقدم لهم خدمة ملائكية خصوصية. قال إن ملائكتهم ينظرون كل حين وجه الأب السماوي. فأئى حق للناس أن يحتقروهم؟ ليس المقصود بهذا القول صغار السن وحدهم، بل يشمل أيضاً صغار النفوس، وعلى الأخص المؤمنين الواقعين تحت نيران الاضطهاد، أو الغرقى في بحر الاحتقار. ثم أوضح المسيح أن خلاصه يعمُّ جميع الأطفال، عندما قال: «لَيْسَتْ مِثِّيئَةٌ أَمَامَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ».

وأردف بهذا القول كلاماً جميلاً من غاية مجيئه من السماء، بيّن فيه تمسّكه بلقب ابن الإنسان. وهو «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك». ومثّل عمله بتفتيش إنسان عن حروف أضاعه، فترك على الجبال التسعة والتسعين التي لم تضل لكي يفتش عن الضال. ومتى وجده يفرح به أكثر من

التسعة والتسعين. حقاً إن اهتمام الله وفرحه بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة، يفوق إدراك البشر، وإن أفكاره ليست كأفكارهم.

إن أخطأ إليك أخوك

• «وإن أخطأ إليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع، فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كأثوثي وألغسار. الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وأقول لكم أيضاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات، لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨: ١٥-٢٠).

ثم تكلم المسيح عن عشرة أخرى لا بد من وقوعها بين أهل الإيمان ضمن الكنيسة. فكيف يتصرف المؤمن متى تعدى عليه أخ؟ أولاً: لا يجب أن يدخل معه في منازعة، بل عليه أن يحفظ نفسه من الغيظ. ثم عليه أن يراعي المحبة الأخوية، فلا يفشي الأمر خشية تضخمه فيصعب إصلاحه. وعليه أن يعاتب المعتدي حبيباً وعلى انفراد، أملاً برجوعه عن خطئه في الحال، ويمنعه من تكرار زلته. لأنه يرجح أن المعتدي متى رأى عدوه في روح الحب والمسالمة، يخل ويندم ويتوقف عن تكرار الاعتداء ويصلح ما فعل. ولهذا السبب قال المسيح: «إن سمع منك فقد ربحت أخاك».

أما إن قسى المعتدي قلبه فالواسطة الثانية لتخجيله وإقناعه هي الاستعانة بلجنة صغيرة تسعى في إصلاح ذات البين، وتكون شاهداً على المعتدي إن لم يمتثل

للحق، وللمعتدى عليه ببرائته من الذنب. لكن إن أصرَّ على رفض هذه الوسائط الحبية، تُرفع القضية إلى المجلس الرسمي، أي الكنيسة، لتتظر في الأمر، وتسعى في إصلاح المذنب. وهذا الاستئناف مفيد، لأن من شأنه أن يجعل المعتدي يخضع للجنة، لئلا يزيد تخجيله وتُخفَّض كرامته بسبب تقديم الشكوى عليه للكنيسة. فإن لم يخضع لحكم الكنيسة يحق للشاكي إن يجتنبه ولا يعتبره كأخ، لأنه قد برهن أن ليس فيه الشروط الجوهرية للأخوية المسيحية.

• «حِينَئِذٍ تَقَدَّمْ إِلَيْهِ بِطَرُسُ وَقَالَ: «يَا رَبِّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ» (متى ١٨: ٢١-٢٢).

كانت الشريعة اليهودية تقضي بأن يغفر الإنسان لمن يسيء إليه، ثلاث مرات. وإن تكررت الإساءة لا يُكَلَّف بتكرار المغفرة. وشعر بطرس أن شريعة المسيح الجديدة أوسع من القديمة، فسأل المسيح: «يا رب، كم مرة يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟» ظن أن سبع مرات هي أكثر ما يُطلب منه، فيكون قد تكرم بقوله «إلى سبع مرات». فكم كان خجله لما أجابه المسيح: «لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات». يعني إلى ما لا نهاية له.

ما أصعب هذا الأمر على الإنسان، فإن الطبيعة البشرية لا تحتمله دون نعمة إلهية. لكن الروح الذي يقود إلى مسامحة مسيحية قلبية في المرة الأولى، يقود أيضاً في الثانية، وإلى ما لا نهاية له. ولا سيما إنه إذا غفر مرة يتقوى في هذه الروح، فيسهل تكرار الغفران أكثر من المرة الأولى. والذي ليس له في قلبه أن يسامح في المرة المئة يبرهن أن مسامحته الأولى لم تكن من روح مسيحي حقيقي. فكل من يشعر بفضل الإله الغفور، لا يمكنه أن يحاسب إخوته، مهما عظمت تعدياتهم عليه.

مثل الملك الذي سامح

• «لِذَلِكَ يُشْبِهُ مَلَكُوثَ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ. فَلَمَّا أُنْتَبَذَ فِي الْمَحَاسِبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بَعَشْرَةَ آلَافٍ وَزَنْةٍ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمْرَ سَيِّدِهِ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ وَأَوْلَادُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفَى الدَّيْنَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ. وَلَمَّا خَرَجَ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفْقَائِهِ، كَانَ مَدْيُونًا لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بَعْنَقَهُ قَائِلًا: أُوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ. فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيقَهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلًا: تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ الْجَمِيعَ. فَلَمْ يُرِدْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ. فَلَمَّا رَأَى الْعَبِيدُ رُفْقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جِدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلِّ مَا جَرَى. فَدَعَاهُ حِينئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ، كُلُّ ذَلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لِأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ. أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمُ الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتَنِي أَنَا؟ وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلِّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ. فَهَكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرَكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلِّ وَاحِدٍ لِأَخِيهِ زَلَاتِهِ» (متى ١٨: ٢٣-٣٥).

لما كان ضرورياً أن يبين المسيح أساس هذا القانون الصعب ليقنع تلاميذه بصوابه، أوضح لهم ذلك بواسطة مثل العبد الظالم، الذي بعد أن ترك سيده الملك ديناً عظيماً للغاية، لا يمكنه أن يوفيه مطلقاً، قبض ذلك العبد على أحد رفقائه العبيد بسبب دين زهيد كان عليه، ورجَّه في السجن، رغم كل الاستراحات والمواعيد وإحسان مولاه إليه، بتركه له هذا الدين العظيم. لم يلب قلبه ليصبر على رفيقه، بل أخذه بعنقه وألقاه في السجن حتى يوفي الدين. فلما أبلغ العبيد رفقائه مولاهم الملك بهذا الأمر، اغتاط الملك جداً، وأحضر هذا العبد الظالم وأتبه، وسلَّمه إلى المعذِّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فإن كان مفلساً قبل سجنه، فأى أمل

له أن يفِي الملايين وهو سجين؟ فلا مناص من بقاءه إلى الأبد بين أيدي المعذِّبين!
 في هذا المثل شبَّه المسيح الله بالملك، وشبَّه الخطاة بالعبيد المديونين. ولما
 كان الدَّين الذي على الخاطيء لله عظيماً، يستحيل على الخاطيء أن يوفيه. لكن
 الله برحمته، وبناءً على عمل الفداء، يغفر لأعظم الخطاة متى اعترف له وطلب
 منه الرحمة وتعهَّد أن يصلح أمره فيما بعد. أما دَيْن الخاطيء لرفيقه البشري فزهد
 بالنسبة إلى دَيْن الرفيق لربه. فمتى حصل إنسان على الغفران الإلهي، لا حقَّ له
 أن يمسك عن رفيقه المغفرة على زلاته، مهما تكاثرت وتكررت. ولا يحق للإنسان أن
 يدين أخاه قبل مقابلته واستماع عذره. لعله أخطأ سهواً، أو ظلمه واش. فما أُرهب
 العبارة التي ختم بها المسيح جوابه على سؤال بطرس بقوله: «فكذا أبي السماوي
 يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته».

ولنا في الصلاة الربانية برهان أهمية وجوب ترك الحقد، لما نصلي: «اعْفِرْ لَنَا
 دُنُوبَنَا كَمَا نَعْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا» (متى ٦: ١٢). لا ينتظر البريء أن
 يأتيه المذنب ليستغفر منه، بل يسبقه، إتماماً للقول: «اذهب وعاتبه بينك وبينه».
 تمثلاً بالمسيح الذي لم ينتظر الخاطيء إلى أن يتوب ويأتي إليه، بل قد أتى من
 السماء ليطلب ويخلص ما قد هلك.

٥ - المسيح يغفر للزانية

• «وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةَ وَالْفَرِّيْسِيِّونَ أَمْرًا أُمْسِكْتَ فِي زِنَا. وَلَمَّا أَقَامُوها فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكْتَ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي التَّنَامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هَذَا لِيُجَرَّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلا خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ انْحَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّئُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا وَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الْآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ واقِفَةً فِي الْوَسْطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمُ أَوْلِيكَ الَمْشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَا دَانَكَ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لَا أَحَدٌ يَا سَيِّدُ». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا» (يوحنا ٨: ٣-١١).

ذهب المسيح إلى أورشليم، ودخل الهيكل. وأخذ يعلم ويشرح للجمهور أمور ملكوته الروحي. وبعد قليل حصلت ضجة بين الحاضرين، لأن جماعة من علماء الدين طلبوا أن يفسح لهم الجمع الطريق ليصلوا إلى المسيح، وهم يجزؤون امرأة تعيسة أمسكت في زنى. وتظاهروا في ريائهم المعهود بغيرة كاذبة على شريعة العفة، وباحترام كاذب للمسيح، إذ طلبوا حكمة في أمر يتعلق بشريعتهم الدينية المقدسة، ولقبوه بأكرم ألقابهم أي «معلم في الدين» وأوقفوا المذنبه في الوسط أمام الجمهور، وطلبوا منه أن يحكم: «هل تُعامل بمقتضى شريعة موسى فيرجمونها؟». كانت الحكومة الرومانية قد منعت المحاكم الدينية اليهودية من الحكم بالإعدام.

فإن حكم المسيح برجم هذه الخاطئة يخالف النظام السياسي الحاكم، ويغيب كثيرين من الشعب الذي تعودوا التساهل في الأحكام. وإن حكم بعدم رجمها، يفتح لهم باباً واسعاً لينتقدوه أمام الشعب كمخالفٍ لشريعتهم المقدسة. وبما أنهم يعلمون كيف تصرفَ أمامهم قبلاً بشريعة السبت، حاسباً ذاته أعظم من موسى، وغير مقيدٍ بشريعته، كانوا يأملون أن يتصرف بذات الطريقة في شريعة الزنى أيضاً، فيهيّجون عليه كل من تهّمه المحافظة على العفة والآداب الصحيحة. فقالوا له: «موسى يقول كذا وكذا. فماذا تقول أنت؟» كأنهم يعترفون له بحق مخالفة أحكام موسى، لو شاء.

وانصرفت أفكار المسيح من هذه المذنبية إلى طالبي رجمها، وهم أعظم منها إثماً، لأنه لم يكن يقبل أن يتساهل مع الظالم والخبث. فكان جوابه الأول أنه انحنى وصار يكتب بإصبعه على الأرض، ليعطي سائله فترة للتفكير. ولما تابعوا السؤال أجابهم قانونياً ما معناه: حسب شريعتكم متى ثبت جرم الزنى على امرأة، فالشهود هم الذين يجب أن يبدأوا أولاً برجمها، وأنتم الشهود. ثم أن العدل يقضي بأن الذي يخطئ أولاً يُجازى أولاً. فالذي منكم خالف شريعة العفة قبل هذه المرأة، لا يحق له أن يطلب قصاصها قبله، فليبتدئ برجمها البريء منكم لا غيره.

ثم انحنى ثانية وصار يكتب بإصبعه على الأرض، فانسحبوا خجلين منكسرين، وخرجوا بالترتيب الذي دخلوا به حسب رتبهم: الشيخ أولاً ثم الآخرون، حتى لم يبق منهم أحد، فإن الضمير يصيرنا جميعاً جناءً.

يُرَجَّح أن التلاميذ والجمهور لم ينصرفوا مع الشاكين، بل انتظروا النتيجة في أمر المرأة التي بقيت واقفة في الوسط. واتجه فكر المسيح الآن إليها، لأنه أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك. «أين أولئك؟ أما دانك أحد؟» وأجابت: «لا أحد يا سيد». قال لها: «ولا أنا أدينك. إذهي ولا تخطئي أيضاً».

بقوله: «ولا أنا أدينك» تصرف قانونياً، لأن هروب المدّعين والشهود قبل

استجوابهم يُسقط الدعوى، فليس في قوله هذا أقل تساهل مع الخطيئة التي اتهمت بها. ولما كان المسيح يكره الخطيئة ويحب الخاطيء، كان يسهل للخطاة أن يتركوا خطاياهم.

• «ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمِشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ». فَقَالَ لَهُ الْفَرِيسِيُّونَ: «أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ. شَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقّاً». أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ، لِأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَلَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَداً. وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فِدِينُوتِي حَقٌّ، لِأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَأَيْضاً فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ: أَنْ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ. أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَيَشْهَدُ لِي الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ هُوَ أَبِيكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتُمُ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلَا أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمُ أَبِي أَيْضاً».

• هَذَا الْكَلَامُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِرَازَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَداً، لِأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ.

• قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُوتُونَ فِي خَطِيئَتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا» فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولَ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟» فَقَالَ لَهُمْ: « أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلِ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقِ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. فَقُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لِأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مِنَ الْبَدَءِ مَا أَكَلِمْتُكُمْ أَيْضاً بِهِ. إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ. وَأَنَا مَا

سَمِعْتُهُ مِنْهُ فَهَذَا أَقْوَلُهُ لِلْعَالَمِ». وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ عَنِ
الْآبِ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمْ ابْنَ الْإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي
أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي.
وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الْآبُ وَحْدِي، لِأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ
أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ» (يوحنا ٨: ١٢-٢٩).

استأنف المسيح تعليمه للناس بعد المقاطعة التي سببها حادث المرأة، فشبّه
ذاته وعمله بالنور، فإن من أشرف ألقابه «نور العالم». فاعترض الفريسيون على
كلامه بحجّة أن شهادة الإنسان لنفسه لا تثبت، فأجابهم بما معناه أن هذا الحكم
ولو صحّ في الخطاة الذين تخدعهم الأناثية، أو يخدعون الآخرين عمداً، فلا يصح
في المسيح الكامل الذي هو في حضن الآب. هذا فضلاً عن شهادة الآب غير
القبلة للشك أو الاعتراض. فلما سألوه: «أين أبوك؟» أجاب بما لا يحقّ لبشر
أن يقوله، إذ قال: «لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي ايضاً».
ولما كرر كلامه السابق أنهم لا يقدرّون أن يتبعوه إلى حيث يذهب بعد قليل، قالوا
تهكماً: «ألعله يقتل نفسه حتى يقول هذا القول؟». فأجابهم بكلام آخر لا يسوغ
لبشر أن يقوله. قال: «أنا لست من هذا العالم. أنا من فوق. إن لم تؤمنوا أنني أنا
هو، تموتون في خطاياكم. ولم يتركني الآب وحدي لأنني في كل حيث أفعل ما
يرضيه».

• «وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِذَا آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ: «إِنَّكُمْ إِنْ ثَبْتُمْ فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي، وَتَعْرِفُونَ
الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». أَجَابُوهُ: «إِنَّا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نَسْتَعْبُدْ لِأَحَدٍ
قَطُّ. كَيْفَ تَقُولُ أُنْتُ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَاراً؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ
الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ. وَالْعَبْدُ لَا
يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الْأَبَدِ، أَمَّا الْابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْابْنُ
فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً. أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لَكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ

تَقْتُلُونِي لِأَنَّ كَلَامِي لَا مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ». أَجَابُوا: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمِ! وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنْ اللَّهِ. هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّمَا لَمْ نُوَلِّدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لِأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَتَيْتُ. لِأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَلِكَ أُرْسَلَنِي. لِمَاذَا لَا تَهْتَمُّونَ كَلَامِي؟ لِأَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قِتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدَنِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمْتَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. وَأَمَّا أَنَا فَلَأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ. لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ اللَّهِ» (يوحنا ٨: ٣٠-٤٧).

بعد أن تحدث المسيح عن نفسه أنه نور العالم، آمن به كثيرون. فصرح بأن الحق يحرر من يعرف الحق، وإن حرره الابن فبالحقيقة يكونون أحراراً. وقال المسيح للذين اعترضوا على كلامه، بحجة أنهم لا يحتاجون إلى التحرير، إن العبودية الحقيقية هي الاستعباد للخطيئة، وإن كل من يفعلها هو عبد لها، والعبد لا يرث ولا يدوم في البيت. وقال للذين يُضمرون في قلوبهم قتله: «تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم». أعلن لهم أن الإستعباد للخطيئة يعني البنوة لإبليس. فادعائهم البنوة لإبراهيم ادعاء بغير حق، لأنهم لا يعملون أعمال إبراهيم بل أعمال إبليس. فإبراهيم لم يطلب أن يقتل إنساناً لمجرد أنه تكلم بالحق. وكل من يفكر في قتل البريء، يعمل عمل إبليس لا عمل إبراهيم. ومثله الكذب

الذي تَعَوَّدوه، لأن «إبليس كذاب وأبو الكذاب».

ثم قال قولاً آخر، لا يجوز لمجرد بشر أن ينطق به. قال: «من منكم يبكتني على خطيئة؟» اعترف سائر الأنبياء بخطاياهم بتذلل وأسف وحزن، فمن هذا الذي يقول هذا القول عن نفسه؟ لو كان بشراً فقط لحق لنا أن نحسبه دون أولئك الذي أقرؤوا بأنهم خطاة. ثم قال أيضاً: «الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد». وهذا القول أيضاً لا يحق لبشر.. إنه كلام ابن الله.

• «فَأَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنَا لَيْسَ بِي شَيْطَانٌ، لَكِنِّي أُكْرِمُ أَبِي وَأَنْتُمْ تُهَيِّئُونَنِي. أَنَا لَسْتُ أَطْلُبُ مَجْدِي. يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بَكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ». أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ. وَالْأَنْبِيَاءُ مَاثُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَمْجِدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يَمْجِدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ. وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا، لَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ. أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَأَخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا» (يوحنا 8: ٤٨-٥٩).

قال المسيح إنه الحق الذي يحرر، فأنهم خصومه أنه «سامري وبه شيطان» وكذبوا قوله بأن من يحفظ كلامه لن يرى الموت إلى الأبد، بحجة أن أب الآباء

إبراهيم وسائر الآباء والأنبياء ماتوا. فكيف لا يموت كل من يحفظ كلامه؟ وسألوه: «من تجعل نفسك؟» فجواباً على هذا قال القول الشهير الذي يثبت بلا مراجعة إعلانه إنه ليس بشراً فقط، لأن حياته لم تبتدئ كسائر البشر لما وُلد، بل إنه منذ الأزل. قال: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح» فقال له اليهود: «ليس لك خمسون سنة بعد، افرايت إبراهيم؟» فأجابهم: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٨). فرفعوا حجارة ليرجموه. لقد أدركوا المعنى الخطير الذي أعلنه بقوله: «قبل إبراهيم أنا كائن» - هذا إعلان لألوهيته، فكيف رآه إبراهيم ما لم يكن صاحب طبيعة أخرى أزلية كانت من البدء (يوحنا ١: ١) وقوله: «أنا كائن» هو نفس الاسم الذي أعلن الله نفسه به يوم أرسل موسى لليهود «وَقَالَ: هَكَذَا تَقُولُ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهُ (أي أنا كائن) أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ» (خروج ٣: ١٤) - لقد فهموا أنه يقول إنه الله، ويدّعي لنفسه الأزلية، فأرادوا أن ييرجموه، لكنه أفلت منهم، لأن ساعته لم تأت بعد، فاختمى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى.

٦ - شروط اتباع المسيح

• «وَحِينَ تَمَّتِ الْأَيَّامُ لَرِيفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلًا، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةَ لِّلْسَامِرِيتِينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمَّ يَقْبَلُوهُ لِأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُنْجَهَا نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالَا: «يَا رَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ نُنْزَلَ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُقْفِيهِمْ، كَمَا فَعَلَ إِبِلِيَّا أَيْضًا؟» فَأَلْتَفَتَ وَأَنْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ». فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى» (لوقا ٩: ٥١-٥٦).

في رحلة المسيح الأخيرة من الجليل في الشمال إلى اليهودية في الجنوب، قصد أن يمرَّ بالسامرة، وهي الجزء المعروف باسم «عبر الأردن» في كلام النبي إشعياء عن الأراضي التي سوف يبصر شعبها نوراً عظيماً (إشعياء ٩: ٢).

وأرسل المسيح خبيراً إلى قرية سامرية قصد أن يبني فيها مع تلاميذه، فهاج التعصّب السامري لما سمعوا بقدم جماعة من اليهود مع هذا المعلم الشهير، متّجهين إلى أورشليم ليؤدّوا فيها فروض الدين، لأن السامريين يتمسكون بوجوب تأديتها في جبلهم المقدس. ولربما أخذتهم أيضاً غيرة الحسد، فنفروا من المسيح لإهماله بلادهم، وخدمته لخراف بيت إسرائيل الضالة وحدها في إحساناته العجيبة. ولربما استصعبوا تقديم الضيافة لعدد كهذا من المسافرين. فرفضوا قبوله.

لما عاد المرسلون بخبر الرفض، استاء التلاميذ جداً من هذه الإهانة لقائدهم العظيم، ولهم. كنا نتوقع تحمُّس بطرس في مقدمة القوم، لكن سبقه ابنا زبدي: يعقوب ويوحنا، اللذان سمّاهما المسيح «ابني الرعد» وأستاذنا منه أن يُنزل ناراً من السماء تهلك هؤلاء السامريين. ألم تسقط في هذه المقاطعة قديماً نار من السماء بطلب النبي إيليا، فأهلكت مئة رجل من جنود الملك أخزيا الذين أرسلهم للقبض

على النبي؟ (٢ملوك ١: ١٠). أولم يتعلما أمساً على جبل التجلي أن معلمهما أعظم من إيليا؟ فما دام الغضب الإلهي حلَّ ناراً على الذين أهانوا إيليا، فكيف لا يُجازى بمثل ذلك الذين أهانوا سيدهم الذي عرفا واعترفا أنه ابن الله ومسيحه؟

لكن في بعض الأمور لا يصلح الاقتداء بالأنبياء. وانتهر المسيح يعقوب ويوحنا، وقال: لستما تعلمان من أي روح يجب أن تكونا وأنتما في صحبتي. إن ما جرى حتى الآن أمامكما كافٍ لتعلما ما هو روح المحبة الذي فيّ، والذي يجب أن يكون في تلاميذي أيضاً. فالروح الذي ساقكما إلى هذا الطلب لا يخلو من اندفاع الشباب وانتقام الكبرياء. فهل رأيتما فيّ شيئاً من هذا؟ قد ساقكما روح التعصب المذهبي الذي نشأتما عليه، فكنتما تحسبان هؤلاء السامريين كلاباً نجسة، فاستصعبتُما احتمال الإهانة ممّن تحتقرانهم. فهل رأيتما هذا فيّ؟ لما هاج عليّ جمهور الناصرة وجُرّوني إلى حافة الجبل ليقتلوني - هل عاقبتُ أحداً منهم؟ ولما قاموا عليّ في اليهودية ليرجموني، هل انتقمتم من إنسان؟ ولما طردوني من كورة الجدرين، هل قاومتُ أحداً لذلك؟ ألم أقل تكراراً: «أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيك». فكيف تطلبان الآن أن تُغنيا بنار من السماء أهالي هذه القرية؟ ألستما تعلمان بعد كل هذا أني لم أت لأهلك الناس جسداً أو نفساً، بل لأخلصهم؟

رفض المسيح اقتراح تلميذه بإحراق السامريين الذي رفضوه، وانتقل مع تابعيه إلى قرية أخرى. ويُرجَّح أن موقعها وراء الحدود السامرية، وقدم بذلك مثلاً للطف والحلم والوداعة في احتمال عمل سخيّف. كانت أعمال الشفاء في هذه الرحلة أكثر من كافية لتشغل كل أوقاته، لكن البشير يقول: «وكعادته كان أيضاً يعلمهم» لأن اهتمامه الأول بالتعليم الروحي. وهذا درس لجميع الذين يشتغلون في أعمال الرحمة للأجساد، أن يرافقوها بالتعاليم الروحية لأجل النفوس.

ثلاثة أمثال

• «وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ، أَتُبْعُكَ أَيُّنَمَا نَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَعَالِبِ أُوجِرَةٌ وَلِطَيُورِ السَّمَاءِ أُوكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». وَقَالَ لآخَرَ: «أَتُبْعِنِي». فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، أَتُذَنِّ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأُذْفِنَ أَبِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَذْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَأَذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ». وَقَالَ آخَرَ أَيُّضًا: «أَتُبْعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلَكِنْ أَتُذَنِّ لِي أَوَّلًا أَنْ أُودَعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَابِ وَيَنْظُرُ إِلَيَّ الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ» (لوقا ٩: ٥٧-٦٢).

جاء أحد علماء الدين المعروفين بالكتابة للمسيح. وبعد السلام قال: «يا سيد، أتبعك أينما تمضي». لربما ظن أن المسيح يفتخر بتابع كهذا ويرحب به كثيراً. لكن نستنتج من ردّ المسيح عليه أن في قلب هذا الكاتب مطامع عالمية. فلا نصيب له أو لأمثاله في صحبة المسيح الذي وهو الإله المتأنس تنازل إلى أدنى درجات الفقر الزمني، تعزية لفقره العالم، لكي لا يبأس أفقر البشر لشدة فقره. كان سريره مستعاراً لا ملكاً، وقبره كذلك - ومثلهما كل ما استعمله بين المهد والحد. كانت معيشته من مال المحييين. ولم يترك للإقتسام بعد موته سوى الثياب التي عليه، والأكفان التي تركها في القبر عند قيامته. فكان جوابه لهذا الكاتب: «لثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه». ثم انطفاً خبر هذا الكاتب.

وقدم المسيح بعد ذلك دعوة لأحد رفقاءه المؤمنين ليكون تلميذاً ملازماً، فرضي، على شرط أن يعطيه المسيح مهلة ليذهب أولاً ويدفن أباه. وهو يقصد أن يلازم أباه العجوز إلى أن يموت - وكان هذا واجباً مقدساً، بعده يترك كل شيء ويتبع المسيح. لكن المسيح لم يتساهل معه لأنه لم يضع الواجبات للوالدين بعد الواجبات لله.

فأمره أن يترك للموتى روحياً تدبير أمر الموتى جسدياً، لأنه كحي روحياً بعد إيمانه الجديد يجب أن يلتصق بالأحياء روحياً مثله. لا ريب في تمسك المسيح بالوصية التي تأمر بإكرام الوالدين، وقد برهن ذلك في حادثته في الناصرة لما كان خاضعاً لأبويه. ونذكر أنه أنب رؤساء اليهود الذين كانوا ينقضون الواجبات للوالدين تحت حجة «قربان» (مرقس ٧: ١٠-١٣) فيكون أن الذي جعله يأمر هذا الرجل أن يترك أباه ويتبعه هو، أنه يطلب لنفسه حقوق العزة الإلهية. فمتى تضاربت الحقوق الإلهية مع الواجبات الوالدية، تُقدّم الحقوق الإلهية على كل شيء.

ثم تقدم رجل ثالث بقصد أن يتبع المسيح. إنما يطلب أن يغيب بعض الوقت ليودع أهل بيته، فلم يسمح المسيح له. يُحتمل أن بيته كان في بلدة بعيدة، أو أن المسيح عرف أن أحوال بيته تعاكس قصده الحسن، فإن رجع ليودع أهله يضغطون عليه ويمنعونه. أو أن المسيح قصد أن يوضح أمام جميع تابعيه أنه لا يجوز تأخير دعوته مطلقاً ولو قليلاً، فأجابه على استنذانه: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمَحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ».

الإتباع العملي

• «وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضاً، وَأَرْسَلَهُمْ ائْتِنِينَ ائْتِنِينَ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعاً أَنْ يَأْتِيَ. فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ الْأَحْصَادَ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ الْقَفْلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْأَحْصَادِ أَنْ يُرْسِلَ قَفْلَةً إِلَى حَصَادِهِ. اذْهَبُوا. هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمَلَانٍ بَيْنَ ذُنَابٍ. لَا تَحْمِلُوا كَيْساً وَلَا مَزُوداً وَلَا أَخْذِيَّةً، وَلَا تُسَلِّمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ. وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوْلًا: سَلَامٌ لِهَذَا الْبَيْتِ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنٌ أَلْسَلَامٍ يَحِلُّ سَلَامَكُمْ عَلَيْهِ، وَالْآخَرُونَ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ. وَأَقِيمُوا فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ أَكْلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ، لِأَنَّ الْقَاعِلَ مُسْتَحِقَّ أَجْرَتِهِ. لَا تَتَّقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ. وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَقَبِلْتُمُوهَا، فَكُلُوا مِمَّا يُقَدِّمُ لَكُمْ،

وَأَشْفُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ فِيهَا، وَقُولُوا لَهُمْ: قَدْ أَقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ
وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ دَخَلْتُمُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ، فَأَخْرَجُوا إِلَى شَوَارِعِهَا وَقُولُوا: حَتَّى
الْغُبَارُ الَّذِي لَصِقَ بِنَا مِنْ مَدِينَتِكُمْ نَنْفُضَهُ لَكُمْ. وَلَكِنْ أَعْلَمُوا هَذَا أَنَّهُ
قَدْ أَقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ اللَّهِ. وَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَكُونُ لِسُدُومَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
حَالَةٌ أَكْثَرَ أَحْتِمَالًا مِمَّا لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ» (لوقا ١٠: ١-١٢).

لا شك أن عدداً كبيراً من الناس كان يتبع المسيح كتلاميذ له، كان من بينهم
سبعون رجلاً يصلحون لأن يرسلهم للتبشير في القرى والمدن اثنين اثنين، وكلفهم
أن يقدموا للناس التعليم والشفاء، كما فعل لما أرسل الإثني عشر. وبارسالهم اثنين
اثنين تظهر أهمية العمل أكثر مما لو ذهبوا أفراداً، فيشجع الواحد منهم الآخر
ويصلح أغلظه، ويتناوبان في الكلام والأعمال. فلو زاد عدد كل فريق عن اثنين
ينقلون على مضيفيهم، وتقل أماكن تبشيرهم. وبمنحه إياهم قوة الشفاء يكتبون
انتباه الناس وتقتهم ومحبتهم، ويظهرون اهتمام سيدهم بصالح الجميع، الزمني مع
الروحي، ويبشرون بالملكوت الجديد الذي اقترب منهم، وبملك هذا الملكوت الذي
أرسلهم أمامه.

وزود المسيح السبعين بمثل النصائح والإعلانات التي قدمها للإثني عشر
قبلهم، إلا أنه أضاف عليها وصيته أن لا يسلّموا على أحد في الطريق، لأن الوقت
قصير، بالكاد يكفي للتعليم والشفاء. ومن عاداتنا الشرقية أننا نكثر السلامات التي
تضيّع الوقت. وأوصاهم أيضاً أن يأكلوا ما يُقدّم لهم دون سؤال أو اعتراض، وأن
يهملوا الطقوس اليهودية في أمر المأكولات، لئلا تقف حاجزاً بينهم وبين الذين
يقبلونهم في بيوتهم، وأردف هذا بقوله: «لأن الفاعل مستحق أجرته».

• «فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا
بِاسْمِكَ». فَقَالَ لَهُمْ: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ.
هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِنُدْوسُوا الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبِ وَكُلِّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلَا

يُضْرِكُمْ شَيْءٌ. وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهَذَا أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلْ أَفْرَحُوا
بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ» (لوقا ١٠: ١٧-٢٠).

نرجح أن السبعين مبشراً رجعوا تدريجياً، لكنهم رجعوا جميعاً بنعمة الفرح مع شيء من التعجب. يظهر أن السلطان الذي منحه المسيح لهم لم يتناول إخراج الشياطين، فلما شرعوا بإخراج الشياطين أيضاً ونجحوا فاض ابتهاجهم، حتى كان خبر هذا النجاح يشغل المحل الأول في تقاريرهم لمرسالهم. قالوا: «يا رب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك». فلماذا اسم المسيح وليس اسم الله؟ وأي فعل لمجرد الاسم، ما لم يكن المسيح معهم روحياً، رغم غيابه عنهم جسدياً؟

في جواب المسيح عليهم نبههم إلى أن نجاحهم راجع إلى العمل الإلهي في طرد إبليس من السماء التي سقط منها بسبب كبريائه. كأنه يقول لهم: أنتم رأيتم فشل بعض الجنود، ولكني رأيتم فشل رئيسهم وسقوطه. رأى المسيح بروح النبوة سقوط الشيطان التام في المستقبل، فسيأخذ المسيح إبليس أسيراً، ذلك الذي طالما أسر البشر لإرادته. لطالما قيّد إبليس البشر بقيود الطبيعة المفسدة والعادات الذميمة. من لقبه «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٦: ١١) تظهر مملكته.. ومن لقبه «سُلْطَانِ الْهَوَاءِ» (أفسس ٢: ٢) يظهر مسكنه.. ومن لقبه «سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ» (كولوسي ١: ١٤) يظهر نوع أعماله.. ومن لقبه «الَّذِي يَعْمَلُ الْآنَ فِي أَنْبَاءِ الْمَعْصِيَةِ» (أفسس ٢: ٢) يظهر من هم رعاياه.

كان المسيح قد قال: «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينئِذٍ أُصْرِحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ!» (متى ٧: ٢٢ و ٢٣). أفلا يعلمون أن نجاحهم في إخراج الشياطين محفوف بخطر الكبرياء، لأنه في الظاهر نتيجة عملهم، بينما النجاح الحقيقي الذي هو كتابة اسمائهم في السموات هو عمل الله وهبة من نعمته المجانية؟ هنيئاً لهؤلاء الذين حققوا المسيح

لهم أن أسماءهم مكتوبة في السماء. لكن هل لمجرد إنسان بشري حق أن يصرح
لأناس مخصوصين أن أسماءهم مكتوبة في السماوات؟ ألا يوضح لنا هذا أن
المسيح هو ابن الإنسان وابن الله معاً؟

فرح المسيح بخدمة أتباعه

• «وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ، رَبُّ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا
لِلْأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الْآبُ، لِأَنَّ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسْرَّةُ أَمَامَكَ». وَأَلْتَفَّتْ
إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ
مَنْ هُوَ الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ إِلَّا الْإِبْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ
يُعْلِنَ لَهُ». وَأَلْتَفَّتْ إِلَى تَلَامِيذِهِ عَلَى أَنْفِرَادٍ وَقَالَ: «طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي
تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكاً أَرَادُوا أَنْ
يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ
يَسْمَعُوا» (لوقا ١٠: ٢١-٢٤).

في حياة المسيح كلها لم نقرأ أنه تهلل إلا في هذا الوقت، مع أننا نقرأ ثلاث
مرات أنه بكى، وعدة مرات أنه انزعج أو اضطرب بالروح أو حزن.. تهلل لأنه
رأى في غلبة تلاميذه على العدو، واستفادة الناس منهم، أعظم نجاح حصل إلى
الآن في عمله. وفي تهلله اتجهت روحه طبيعياً، ليس نحو الناس، بل نحو الآب
السماوي، فحمده بعبارات استعملها سابقاً. ثم قال لهم على انفراد: «إن أنبياء
كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعو ما أنتم
تسمعون ولم يسمعو».

لا نغفل الفائدة العظيمة التي حصلت لهؤلاء السبعين ولنا نحن أيضاً بواسطة
إرساليتهم هذه. فعندما كلّف السبعين بالعمل الذي خصّ به التلاميذ الاثني عشر

سابقاً، علّمنا أن التبشير ليس محصوراً في رجال الدين القانونيين، بل أن على كل مؤمن أن يكون مبشراً، وأن يخصص قسماً من أوقاته وأمواله للتبشير بالإنجيل. متى أدرك المسيحيون هذه الحقيقة، وعملوا بموجبها، يفعلون المعجزات الروحية. وقد قال عنها المسيح لتلاميذه: «مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَأَلْعَمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَفْعَلُهَا هُوَ أَيْضاً، وَيَعْمَلُ أَكْبَرَ مِنْهَا، لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي» (يوحنا ١٤ : ١٢) والحمد لله أن الشواهد على صدق هذا القول واضحة في تاريخ الكنيسة قديماً في زمان الرسل والآباء، وحديثاً في تاريخ انتشار الإنجيل في بلدان كثيرة.

٧ - من هو قريبي؟

• «وَإِذَا نَامُوسِي قَامَ يُجْرِيهِ قَائِلًا: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ أَلْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةِ؟» فَقَالَ لَهُ: «مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟» فَأَجَابَ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ: «بِالْصَّوَابِ أُجِبْتَ. اِفْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا». وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّرَ نَفْسَهُ، سَأَلَ يَسُوعَ: «وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضُوا وَتَرَكَوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ. فَعَرَضَ أَنْ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَأَهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذَلِكَ لَاطِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَأَهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَأَعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْعَدِّ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: «أَعْتِنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيُّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللَّصُوصِ؟» فَقَالَ: «الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَأَصْنَعْ هَكَذَا» (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧).

بعد رجوع السبعين جاء أحد علماء الشريعة لكي يجرب المسيح فسأله: «يا معلم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟».

لو كان سؤاله عدائياً لوبَّخه المسيح توبيخاً صارماً، لكنه كان سؤال مماحكة بسيطة، فأخذ جواباً يلائمه، هو ردُّ السؤال إلى السائل، ليجيب هو عليه، مما هو مكتوب في الشريعة. كان جواب هذا الكاتب ممتازاً كسؤاله. فقال: «تحب الرب

إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل أفكارك، وقريبك مثل نفسك». فقال له المسيح: «بالصواب أجبت. اعمل هذا فتحياً». قد أدرك هذا الرجل الشريعة الإلهية إدراكاً كافياً، لكنه علم جيداً أنه لا يستطيع تماماً أن يحب الله وقريبه لهذه الدرجة. وأنه على هذه القاعدة ليس له ولا بغيره حق في الحياة الأبدية. إذا فالمعرفة وحدها لا تريح الضمير بل تزعجه، ولا تزيل الدينونة بل تزيدها، وحفظ الناموس لا يخول الخلاص ما لم يُحفظ تماماً.

لذلك يطلب الله من كل خاطئ أن يعرف ليس الشريعة فقط بل نفسه أيضاً وتقصيرها وعجزها. وكان عالم الشريعة هذا ناقصاً في معرفة نفسه، فقصد أن يبرر نفسه وهو ليس باراً. لم يقدر أن يسأل من هو الله لأحبه، فسأل: من هو قريبي لأعرف إن كنتُ أحبه كنفسي، فأرث الحياة الأبدية؟ وأجاب المسيح مرة أخرى بسؤال، ليجعل السائل نفسه يجيب على ما سأل. ولكي يمهد المسيح لتقديم السؤال الثاني روى مثلاً نعرفه باسم «مثل السامري الصالح».

روى المسيح لعالم الشريعة قصة مسافر يهودي كان ذاهباً من أورشليم إلى أريحا ووقع بين أيدي اللصوص، فسلبوه كل شيء حتى ثيابه، وأشبعوه ضرباً وجرحاً حتى لم يعد يقدر أن يصرخ أو يستجير، وتركوه بين حي وميت. وحدث أن كاهناً نزل في تلك الطريق فرآه.

حسب اصطلاح الناس، وحسب فكر هذا الكاهن، كانت مقابلة هذا الجريح تبدو صدفة، مع أنها من تدابير العناية الإلهية، شفقة على هذا التعيس. وبصدفة كهذه، يمتحن الله كل واحد منا: هل نلبي الدعوة الإلهية الخفية التي تنتدبنا لأعمال الرحمة والخير؟

لما رأى الكاهن هذا المسكين «جاز مقابله». ولا بد أنه حاول أن يبرر نفسه بأعذار واهية، لكنه غير معذور في ما فعل. فالمصاب أخوه في الجنسية اليهودية، وهو مكلف رسمياً بإغاثة هذا المسكين، لأنه أحد رؤساء الدين، ومسؤوليته خدمة

الشعب في كل ما يمكن. وقد أفرز ليكون قدوة للشعب في أعماله. لذلك كان هروبه من المسؤولية تقصيراً كبيراً.

بعد الكاهن مرّ زميل له، وهو لاوي - أي في المنزلة الثانية من رجال الدين. نراه أفضل من الأول، لأنه إذ صار عند المكان «جاء ونظر». تحرك فيه بعض الحنان، لكنه لم يترجم شعوره إلى عمل، إذ هو أيضاً «جاز مقابله».

لا يجهد الكاهن واللاوي الوصية المكررة في الشريعة والتي توجب مساعدة الأخ في ساعة الضيق. فكيف الأمر الآن وخادما دينٍ قد رأيا أحاهما في أسوأ حال، ولم يمداً له يد المساعدة؟ هل اعتذرا بأنهما قد عملا واجباتهما لله وللناس، لأنهما أتَمَا كل الفروض الدينية؟ أو هل حسبا أن هذا الإنسان قارب الموت ولا فائدة من خدمته، بل إن مات بين أيديهما يتنجّسان، فيتعطّلان مؤقتاً عن ممارسة الفرائض الدينية؟ كان يجب عليهما أن يذكرنا القول الإلهي: «إني أريد رَحْمَةً لا دَبِيحَةً» (هوشع 6: 6). هل اعتذرا بمخاطر الطريق التي أثبتتها ما حدث للرجل الجريح، فحسبا الابتعاد ضرورياً لأجل سلامتهما؟ أو هل اعتذر الكاهن بأن اللاوي وراءه فترك له هذه الخدمة، واكتفى اللاوي بأن الكاهن الذي سبقه أرفع مقاماً منه في الدين وملزوم أكثر منه، حتى ما لا يُطالب به الكاهن لا يُطالب به اللاوي. هل بين أعدارٍ كهذه ما تقبله الشهامة أو ما يقبله الله؟

لقد أدان المسيح الكاهن واللاوي، ونجد في هذا برهاناً قوياً على أن الإنسان لا يُدان فقط على ما يفعله من الشر، بل أيضاً على ما يهمله من الخير. فمع أنه لم يُدكر للكاهن واللاوي سيئة فعلها، يلومهما الرأي العام، بسبب ما لم يفعله لما تغاضيا عن مصيبة أخيها.

نلتفت الآن من صورة الكاهن واللاوي المحزنة، إلى صورة مبهجة تفاجئنا هي صورة مسافر ثالث غريب الجنس، سامري، يعتبرونه عدواً طبيعياً لليهودي الواقع بين اللصوص. لو كان الجريح في صحته وسلامته لكان يبصق على هذا السامري

ويشتمه ويتجس منه، لأنه أبعد الناس عنه. ولعل هذا السامري عرف أن أخوي هذا الجريح قد مرَّ به ولم يريا لزوماً للالتفات إليه. لكن على رغم هذا كله أطاع الأمر الإلهي بحبة القريب والتي أوردتها الأسفار الخمسة لموسى التي يعترف بها السامريون (لاويين ١٩: ١٥) فصَحَّ مرة أخرى قول المسيح في الآخرين الذين يصيرون أولين، والأولين الذين يصيرون آخرين.

نزل هذا السامري عن دابته، ومال إلى الجريح وفحصه، ثم صبَّ على جروحه خمراً وزيتاً، وضمّدها. ثم أركبه على دابته ومشى ماسكاً به في هذه الطريق الوعرة إلى أن أوصله إلى الفندق. وهناك لم يستغف من المسؤولية والتعب والخسارة، فدفع نفقة إعالة الجريح مالاً يعادل أجره الفاعل مدة يومين، ووعد أن يسدّد فيما بعد ما ينفقه صاحب الفندق عليه فوق ذلك، إلى أن يُشفى ويواصل سفره.

لما أكمل المسيح هذه القصة سأل عالم الشريعة: أي الثلاثة الذين مرُّوا بهذا الجريح تصرّف كقريب يحب قريبه كنفسه. وكانت الإجابة الواجبة هي: «السامري». لكن التعصّب لم يدعه ينطق باللفظ الصريح أن سامرياً أفضل من كاهن يهودي، فاكتمى بالتلميح وأجاب: «الذي صنع معه الرحمة». اكتفى المسيح بهذا الجواب وقال: «إذهب أنت أيضاً واصنع هكذا». أي: كُنْ أنت قريباً لكل من يحتاج مساعدة منك تستطيعها، ولو كان عدوك.

ذكر المسيح هذا السامري، لا ليكرم السامريين، ولا ليهين الكهنة واللاويين لكن ليعلم أن الغريب عن الدين الذي يطيع شريعة المحبة خير من خادم الدين الذي يخالفها. سأل عالم الشريعة: «من يستحق أن يُعامل كقريب؟» وكان الأجوب أن يسأل: «قريب من أنا؟ وهل تصرفي مع الناس هو تصرف قريب يحبهم كنفسه؟». القريب هو الذي تلتقي بطريقه، والذي يمكن أن تصل إليه يدي، فمهما ابتعد قلبه عني وعاداني، لا يزال قربي، ويطلب الله مني أن أحبه كنفسي، وأعامله معاملة تدلُّ على أن هذه المحبة حقيقية.

جدد المسيح في هذه القصة تعليمه الرئيسي بأن الدين لا يقوم بحفظ الفروض الخارجية والطقوس المذهبية، إذ أن الشخصين اللذين أكملوا هذه الفروض الحقّة المعيّنة من الله، وأكملها في الهيكل المقدس، خالفاً أساس الدين المتعلق بمحبة القريب. ومن يخالف وصية محبة القريب لا يمكن أن يكون محباً حقيقياً لله. إذاً فالكاهن واللاوي لم يحفظا شيئاً من جوهر الدين، بينما قبل الله السامري الذي لم يتم فروض الدين الخارجية، وكان أجنبيّاً عن شعب الله المختار، ولكنه أظهر محبته لله بمحبته لقريبه.

هدم المسيح بهذه القصة جداراً من الجدران الفاصلة بين المذاهب، وأوضح أن الجوهر في الدين لا يختص بالمذهب بل بالمحبة. يجب أن تربط المذاهب المختلفة رابطة روحية تثبت وحدة الإيمان رغم اختلاف التفسير. وأن لا يخل هذا الاختلاف بالمحبة الأخوية. إن الحق الجوهرى واحد، والصالح واحد، والاهتداء إلى الله هو المقصود في كل فروع الدين.

مريم ومرثا تستقبلان المسيح

• «وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً، فَقَبِلَتْهُ أَمْرَأَةٌ أَسْمُهَا مَرْثَا فِي بَيْتِهَا. وَكَانَتْ لِهَذِهِ أُخْتُ تُدْعَى مَرْيَمَ، الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُ. وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةِ كَثِيرَةٍ، فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: «يَا رَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَّتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «مَرْثَا مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِينَ وَتَضْطَرِّبِينَ لِأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَأَخْتَارَتْ مَرْيَمَ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا» (لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢).

واصل المسيح وتلاميذه سفرهم نحو أورشليم، إلى أن بلغوا بيت عنيا، التي تبعد عن المدينة نحو ثلاثة أرباع ساعة سيراً على الأقدام. وبيت عنيا ذات رائحة ذكية

في التاريخ، بسبب عائلة تقية سكنتها، منحها المسيح صداقة شخصية ممتازة، قابلتها بتقديم مكان مريح للمسيح وتلاميذه، يأوون إليه مسرورين كلما شاءوا. وعندما دخل المسيح هذا البيت مع تلاميذه وغيرهم من مرافقيه اجتمع قوم من أهل القرية فأخذ يعلمهم كعادته. عند ذلك ظهر الفرق بين الأختين المتساويتين في الاهتمام الحبي بإكرام هذا الضيف الشهير وطلب رضاه، فمرثا الأكبر سناً، ومديرة البيت، اهتمت بالخدمة الجسدية وارتبكت في تجهيز طعام كثير. ولا عجب، لأن عدد الضيوف الذين باغثوها، ومقام معلمهم النبي العظيم صانع المعجزات يستحقان هذا الارتباك.

أما مريم فقد قادتها بصيرتها إلى أن المسيح ليس كغيره من كبار القوم، يفرح بمظاهر الضيافة الكريمة، أو يسأل كثيراً عما قد يُقدّم له من طعام، بل شعرت أن معظم سروره ينتج عن إصغاء الناس إلى تعاليمه. فقد قال: «**طُوبَى لِلْجِيعِ وَالْعَطَشِ إِلَى الْبِرِّ**» (متى ٥ : ٦). فجلست عند قدميه تسمع كلامه. وبهذا مثلت تمثيلاً جميلاً للقيليين الذين ليست الدنيا عندهم إلا تابعة للذين وخاضعة له. ليس أنهم يقصدون ترك الدنيا وشورها، بل يضعون الدين قبلها. هؤلاء هم الذين أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة، لأن الله قد اختارهم للحياة الأبدية، وعلى جبينهم علامة اختياره لهم.

كان خطأ مرثا في هذا الوقت هو تقديم الحسن الدنيوي على الأحسن الديني. وكثيراً ما يمنع الحسن الوصول إلى الأحسن. ولأن الخطأ لا يولد إلا الخطأ تدمرت في قلبها على أختها، وحسدتها لجلوسها عند قدمي المسيح. ثم أنتج تدمرها تدمراً على المعلم ذاته. كان الأولى بها أن تفرح لحصول أختها على هذه الفرصة الثمينة للاستفادة، أو على الأقل أن تقول لها: اعلمي معي أولاً يا أختي، ثم نجلس سوية عند قدمي المعلم. لكنها وقفت وقالت: «يا رب، أما تبالي بأن أختي قد تركتني أخدم وحدي؟ فقل لها أن تعينني».

كان المسيح يعلم جيداً ضرورة الماديات، وكان يخدم ماديات الناس كثيراً مع

روحياتهم. لكنه لم يغفل أن يشرح أنها إن كانت تقصد إرضاءه، فهو يسرُّ بمن يحب أن يسمع تعليمه أكثر ممن يقدم له خدمة جسدية.

فقال لها: «مرثا مرثا، أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة». كأنه يقول لها إن انهماكها في الأمور العالمية يحرمها الهدوء والسلام والسرور الناتجة عن طلب ملكوت الله، أي الخير الروحي، أولاً. ليس ضرورياً للإنسان إلا أمر واحد وهو النصيب الصالح الذي اختارته مريم، وهو الذي سيبقى معها دائماً.

٨ - المسيح يفتح عيني مولود أعمى

• «وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلَادَتِهِ، فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «لَا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِنَتَّظَرِ أَعْمَالَ اللَّهِ فِيهِ. يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورٌ الْعَالَمِ». قَالَ هَذَا وَتَقَلَ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَعَ مِنْ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الْأَعْمَى. وَقَالَ لَهُ: «أَذْهَبْ وَاعْتَسِلْ فِي بَرْكَةِ سَلْوَامٍ». الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ. فَمَضَى وَاعْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيرًا» (يوحنا ٩: ١-٧).

مرَّ المسيح في مدينة أورشليم برجل وُلِدَ أعمى، فسأله تلاميذه: «من أخطأ، هذا أم أبواه، حتى وُلِدَ أعمى؟». أجابهم المسيح بما معناه أن هذه المصيبة العظيمة لم تأتِ هذا الرجل نتيجة خطيئة ارتكبها هو أو والدها، إنما سمحت العناية الإلهية بهذه الضربة لتظهر أعمال الله في المُصاب.

ما أعظم الفرق بين هذا الكلام المعزي من المسيح، وكلام التائب الموجب لليأس الذي كان يسمعه ذلك الأعمى كل حياته من الجميع عن أسباب مصيبتة. ها هو يسمع لأول مرة أن مصيبتة هذه لا تدل على أنه مغضوب عليه من الله ومرفوض، بل بالعكس، أن الله في مصيبتة هذه لا تدل على أنه مغضوب عليه من الله ومرفوض، بل بالعكس، أن الله في مصيبتة مقاصد سالحة، فنقله هذا الكلام من عالم اليأس إلى عالم الرجاء. سأل عن اسم من يكلمه، وعرف أن اسمه «يسوع». يا لمصيبة عماه! إنه لا يستطيع أن يرى هذا الذي انتصر له. لو قدم له المسيح في هذه الساعة ليس الدنانير النحاسية التي تعوّدها، بل الذهبية أيضاً، لما أحسن إليه بمقدار إحسانه بهذا الجواب، حتى لو تركه وشأنه حالاً.

لكن هذه اللفتة كانت بداية عمل المسيح الصالح معه. نبّه المسيح سامعيه أولاً

إلى قصر الفرصة الباقية له للعمل. قال: «ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل». ثم أشار إلى وظيفته كالنور الحقيقي الآتي إلى العالم الذي ينير كل إنسان، وقال: «ما دمْتُ في هذا العالم فأنا نور العالم». أي أن الظلمة الجسدية والروحية التي أعثرت هذا الضير هي ضدي وأنا ضدها، فسأزليها. ثم فعل المسيح ما قاله. نقل على الأرض وصنع طيناً، وطفى بالطين عيني الأعمى، وأمره أن يذهب ويغتسل في بركة سلوام، فمضى واغتسل وأتى بصيراً.

ظهرت القوة الإلهية في هذا العمل بواسطة الفرق العظيم بين طريقة الشفاء ونتيجته. إن الطين يُعمي العين السليمة، لكن الطلي بالطين كان مهماً لأجل تحقيق العلاقة بين الفاعل وفعله، ولأجل إحياء الإيمان في قلب هذا الأعمى. كان مهماً أيضاً إيضاح ضرورة الطاعة التي هي ثمر الإيمان. فعلى الأعمى أن يطيع وإلا فلا يستفيد من عمل المسيح. ليست النتيجة العجيبة التي حدثت ثمر عمل الأعمى، لكنها توقفت على ذلك الفعل. ولو لم يؤمن لما أطاع. لو لم يطع بعد إيمانه لما جاز أن يُقال إنه آمن. جاءه الشفاء لأنه آمن إيماناً يثمر بالطاعة. وهذه على الدوام قاعدة الخلاص والإيمان والأعمال. من يؤمن يخلص، ومن يؤمن لا بد له أن يعمل. فإن لم يعمل حسب الفرصة المُعطاه له يحكم أنه لم يؤمن، فيهلك، ليس لأنه لم يعمل بل لأنه لم يؤمن إيماناً صحيحاً.

نرى هذا الأعمى يسير بين الجمهور، بعد أن طلى المسيح عينيه بالطين، وقَبِل أن يغسلهما في بركة سلوام، ووجهه ملطخ بالطين، وسيره جديٌّ فوق العادة، مما ينبّه الناظرين ويثير عليه الاستهزاء. لكن الاستهزاء لم يُثنه عن طاعته، ولا نصائح العقلاء له أن لا ينفاد لكلام المسيح المكروه من قادة الدين، وان لا يعرض نفسه لغيفظ الرؤساء، لأنه يعمل في السبب ضدّاً لتعاليمهم. كل هذه لم تطفئ فتيلة إيمانه المدخنة، ولم تردّه عن الذهاب إلى حيث أمره المسيح. ولما نال البصر عاد إلى المكان الذي فارق فيه المسيح ليمتّع بصره الجديد برؤية الذي أنعم عليه بهذه الهبة

التي لا تُثَمَّن، وليقدم له الشكر اللائق والواجب، ويستمد منه إرشادات جديدة دينية. لكنه لم يجد المسيح هناك، ولم يجد من يهديه إليه.

هذه المعجزة رمز مناسب جداً للخلاص. لأنها منحت هذا المولود أعمى ما لم يكن له سابقاً. كانت مصيبة هذا الرجل الكبرى أنه مولود أعمى بالمعنى الروحي أيضاً، لأنه وُلد في الإثم والخطيئة كما ذكَّره الرؤساء، فمنحه المسيح مع البصر الجديد الجسدي، ما هو أهم بما لا يُقاس، وهو بصر جديد روحي.

• «فَالجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلَ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، قَالُوا: «أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟» آخَرُونَ قَالُوا: «هَذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشَبِّهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ». فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟» أَجَابَ ذَلِكَ وَقَالَ: «إِنْسَانٌ يَقَالَ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِيناً وَطَلَى عَيْنَيَّ، وَقَالَ لِي: أَذْهَبْ إِلَى بَرْكَةِ سَلْوَامٍ وَاعْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاعْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ». فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ ذَلِكَ؟» قَالَ: «لَا أَعْلَمُ» (يوحنا ٩: ٨-١٢).

نال المولود أعمى شفاؤه في يوم سبت - وهو يوم راحة عند اليهود. وعندما رأى المتعصبون الرجل ماشياً في السبت يطلب الشفاء حنقوا عليه، وأرادوا أن يعاقبوه لأنه خالف شريعة السبت المقدسة. ولم يجسر أحد أن يدافع عمّا فعله المسيح، ولا عمّا جرى مع الأعمى، لأن الرؤساء كانوا قد أعلنوا جهاراً أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يُحرّم من امتيازاته الدينية والمدنية، ويطردونه من ممارسة العبادة.

لما فشل الأعمى الذي أبصر أن يرى شافيه، رجع إلى بيته ليرى والديه وجيرانه لأول مرة في حياته التي لم تقلّ عن الثلاثين سنة.

ما أعظم التغيير الذي حصل في منظر هذا الرجل بسبب ما جرى له. فقد انفتحت عيناه، وضاء وجهه بالفرح، وتغيّرت لهجته، فلم يعرفه الذين كانوا يعرفونه بعض المعرفة السطحية فقط. لهذا السبب اختلف الرأي بخصوصه. اعتقد البعض أن شفاؤه وهَمَّ وخداع، وأن هذا البصير ليس هو ذاك الضرير بل شخص آخر

يشبهه. أما هو فقال: «إني أنا هو». ولما سألوه عما جرى له، ومن شفاه، أجابهم بالواقع. لكن لما سألوه عن شافيه أين هو؟ قال: «لا أعلم». وهو يتمنى لو استطاع أن يهتدي إلى مكان المسيح ليهديهم إليه.

• «فَأَتُوا إِلَى الْفَرِيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلاً أَعْمَى. وَكَانَ سَبَبٌ حِينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ. فَسَأَلَهُ الْفَرِيسِيُّونَ أَيْضاً كَيْفَ أَبْصَرَ، فَقَالَ لَهُمْ: «وَضَعُ طِيناً عَلَى عَيْنَيَّ وَأَغْسَلْتُ، فَأَنَا أَبْصِرُ». فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ الْفَرِيسِيِّينَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَا يَحْفَظُ السَّبَبَ». آخَرُونَ قَالُوا: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ؟» وَكَانَ بَيْنَهُمْ انْتِشَاقٌ. قَالُوا أَيْضاً لِلْأَعْمَى: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ». فَلَمَّ يُصَدِّقُ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبَوِي الَّذِي أَبْصَرَ. فَسَأَلُوهُمَا قَائِلِينَ: «أَهَذَا ابْنُكُمْ الَّذِي تَقُولَانِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الْآنَ؟» أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالَا: «نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا ابْنُنَا وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى، وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الْآنَ فَلَا نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلَا نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. أَسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَن نَفْسِهِ». قَالَ أَبَوَاهُ هَذَا لِأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنْ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْمَسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمَجْمَعِ. لِذَلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ: «إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ، أَسْأَلُوهُ» (يوحنا ٩: ١٣-٢٣).

لم يهتد المتعصبون إلى الذي سبب هذه المخالفة، فجرؤوا الأعمى الذي أبصر إلى مجلسهم ليحاكموه. ولما طلب أعضاء المجلس أن يسمعا القصة من فمه رأساً قصها عليهم. ولما علموا أن المسيح الذي يبغضونه وينوون قتله فعل هذه المعجزة حاروا في أمرهم. إنهم حكموا على المسيح بمخالفة السبت يثبتون المعجزة ويشيغون خبرها، فيزيد تمسك الشعب بالمسيح. ولأنه وقت العيد العظيم لا يُستبعد أن الشعب يثير حركة سياسية، وينادي بالمسيح ملكاً. وإنهم أنكروا حقيقة

المعجزة، يخسرون الحُجَّة التي فرحوا لها للحكم عليه بأنه دَنَّس السبت. لذلك ترددوا وناقضوا ذواتهم لأنهم أثبتوا المعجزة أولاً، وافتكروا الآن أن يلاشوا تأثيرها بقولهم إن فعلها في يوم السبت برهان أن الفاعل ليس من الله، بل قد فعلها بقوة الشياطين!

لكن قوماً في المجلس اعترضوا بقولهم: «كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه المعجزة؟» فحصل انقسام في المجلس، وغيَّروا خطَّتهم وعمدوا إلى حيلة ضد الأولى، إذ حاولوا إنكار المعجزة لعلهم ينجحون في اتهام المسيح بالاحتيال، وطلبوا أن يجبروا الرجل وأبويه على إنكار المعجزة. ولكنه قال: «أعلم شيئاً واحداً: أي كنتُ أعمى والآن أبصر». هذا القول هو شعار كل من اختبر الخلاص بالمسيح، بواسطة الإيمان الحي به، لأنه يقدم الشهادة عينها.

• «فَدَعَا ثَانِيَةً الْإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطِ مَجْدًا لِلَّهِ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ خَاطِئٌ». فَأَجَابَ: «أَخَاطِئُ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أَبْصِرُ». فَقَالُوا لَهُ أَيْضًا: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» أَجَابَهُمْ: «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضًا؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُصِيرُوا لَهُ تَلَامِيذًا؟» فَسْتَمَوْهُ وَقَالُوا: «أَنْتَ تَلْمِذُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا تَلَامِيذُ مُوسَى. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَمَّا هَذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ». أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ فِي هَذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ. وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ لِلْخَطَاةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ فَلِهَذَا يَسْمَعُ. مُنْذُ الْدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيَّ مَوْلُودٍ أَعْمَى. لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا». أَجَابُوا قَالُوا لَهُ: «فِي الْخَطَايَا وُلِدْتَ أَنْتَ بِجَمَلَتِكَ، وَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا!» فَأَخْرَجُوهُ خَارِجًا» (يوحنا ٩: ٢٤-٣٤).

ولما وجَّه الرؤساء أسنلتهم للأعمى الذي أبصر قال: «قلت لكم ولم تسمعوا.

لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً؟ ألعلمكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟» فشتموه مفتخرين بأنهم تلاميذ موسى، بينما هو تلميذ هذا الجليلي المجهول الأصل. شتموه بحجة أنه ضلّ وكفر في تسميته المسيح نبياً. ولا مهم الأعمى الذي أبصر لأنهم - وهو معلمو الدين - يجهلون أصل شخص عمل ما يبرهن أنه من الله. وختم جوابه بكلام قوي أظهر نكاهه وشجاعته وإيمانه. إذ قال إن كل تاريخهم منذ نشأة العالم لا يذكر شخصاً واحداً منح البصر لمولود أعمى. ثم قال: «نعلم أن الله لا يسمع للخطاة، ولكن إن كان أحد يتقي الله ويفعل مشيئته فهذا يسمع. لو لم يكن هذا من الله ما قدر أن يفعل شيئاً».

ويستند قوله هذا على بعض آيات الكتاب، فالخاطئ الوحيد الذي يسمع له الله هو الذي يقدم توبة حقيقية صادقة. فاستشيطوا غيظاً وقالوا له: «في الخطايا وُلدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا!». ثم حكموا عليه بالحزم الأعظم وأخرجوه من المجمع.

• «فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجاً، فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟» أَجَابَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لِأُؤْمِنَ بِهِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ». فَقَالَ: «أُؤْمِنُ يَا سَيِّدُ». وَسَجَدَ لَهُ» (يوحنا 9: 35-38).

وما أن خرج الرجل من المجمع مطروداً حتى لاقاه المسيح، فقال له: «أتؤمن بابن الله؟». لم يعلن المسيح ذاته كابن الله للعلماء في الأمة، لكنه أعلن ذلك لهذا الفقير الميَّال إلى الإيمان، والذي ظهر جوهره لما أجاب: «من هو يا سيد لأؤمن به؟» فأناره المسيح بقوله: «قد رأيته، والذي يتكلم معك هو هو».

ما أصعب هذا الجواب على مسامع يهودي متمسك بالتوحيد. كيف يكون هذا الرجل الذي أمامه ابن الله وكل ملامحه بشرية؟ فإن كان حقاً ابن الله فيجب أن يسجد له حالاً، وإلا فلا يجوز، بل يكون السجود له خطيئة عظيمة. لقد عرف أولاً واعترف أن المسيح نبي ولم يسجد له، وأما الآن فيسجد، لأنه صدق أنه ابن الله،

وهذا يُجيز سجوداً له لا يُعطى لنبي أو ملك أو ملاك.

في هذه الساعة تمّ شفاء هذا الرجل من عماه الروحي الذي وُلد فيه، فأبصر جلياً ورأى أمامه بعينه الجسديتين يسوع الناصري ابن مريم، وبعين الإيمان رأى ابن الله الوحيد. أخذ هذا المسكين من رؤسائه الشتيمة والحرم، لكن المسيح عوّض عليه أضعاف الأضعاف بالبركة والخلاص. أولئك أخرجوه من المجمع وأغلقوا في وجهه باب النظام الديني والحقوق المذهبية، لكن المسيح أدخله إلى ملكوت الله وفتح له باب السماء. وبسبب عماه اهتدى إلى الخلاص الأبدي، وربح صداقة هذا الخَلِّ السماوي، ونال ذكراً شريفاً أبدياً في التاريخ. ثم أنه خدم المسيح بنشر صيته انتشاراً جديداً بشهادته الصادقة له، وخدم ذوي القلوب السليمة حوله بإعطائهم أسباباً كافية ليلجأوا إلى هذا المخلص وينالوا به خلاصاً. أفلا يحقُّ لنا أن نتصّوره بين القديسين في السماء يقدم شكراً وافراً على الدوام، لأنه وُلد أعمى.

٩ - المسيح الراعي الصالح

• «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ». فَقَالَ: «أَوْمِنُ يَا سَيِّدُ». وَسَجَدَ لَهُ. فَقَالَ يَسُوعُ: «لِدِينُونَهُ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ». فَسَمِعَ هَذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ، وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضًا عُمَيَانُ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ عُمَيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيئَةٌ. وَلَكِنْ الْآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيئَتُكُمْ بَاقِيَةٌ».

• «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ الَّذِي لَا يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ، بَلْ يَطْلُعُ مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَذَلِكَ سَارِقٌ وَلِصٌّ. وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ. لِهَذَا يَفْتَحُ الْبُؤَابَ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيَدْخُلُ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ وَيُخْرِجُهَا. وَمَتَى أُخْرِجَ خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ يَذْهَبُ أَمَامَهَا، وَالْخِرَافُ تَتَّبِعُهُ، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ. وَأَمَّا الْغَرِيبُ فَلَا تَتَّبِعُهُ بَلْ تَهْرَبُ مِنْهُ، لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ صَوْتَ الْغَرَبَاءِ». هَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ لَهُمْ يَسُوعُ، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مَا هُوَ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ» (يوحنا ١٠ : ٣٩ - ٤٠ : ٦).

فتح المسيح عيني الرجل الذي وُلد أعمى، ولكن شيوخ اليهود قاوموا المسيح. وهاجموا الأعمى الذي أبصر. وطرده من مجتمعهم، فكيف يكلمهم المسيح؟

لقد أطلق عليهم لقب «سُرَّاقٌ ولصوص» لأنهم لم يدخلوا على وظيفتهم الرعائية من الباب الوحيد الذي عينه الله، الذي هو المسيح ذاته، بل طلَعوا من موضع آخر. ولم يدخلوا بدعوة إلهية، ولا لأهلية فيهم، بل لنجاحهم في الوسائط السياسية. دخلوا من الثغرات في سور الحظيرة، فقد نالوا وظيفتهم الكهنوتية الرعوية بالإرث أو المحاباة أو التمليق أو الرشوة أو الحيلة أو الاستبداد. فما الفائدة من تسلسلهم

الهاروني ورسامتهم القانونية، وغير ذلك من الشروط الرسمية الخارجية، طالما هم تائهون عن الباب؟ والمسيح ذاته هو الباب. وإلى اليوم لا دخول للخدمة الرعائية إلا من هذا الباب.

المسيح هو الباب

• «فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «الْحَقَّ أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَأُصُوصٌ، وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعَى. السَّارِقُ لَا يَأْتِي إِلَّا لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةً وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يوحنا ١٠: ٧-١٠).

قال أحد اللاهوتيين: «إن الراعي الحقيقي بين البشر هو الذي يتقلد هذه الوظيفة حباً للمسيح، ويقصد تمجيد المسيح، ويعمل عمله بقوة المسيح، ويعلم تعليم المسيح، ويسلك في خطوات المسيح، ويسعى ليأتي بالنفوس إلى المسيح». ولا يصح الخروج أيضاً إلا من هذا الباب. والذي قال: «الْحَقَّ أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعَى» (يوحنا ١٠: ٧ و٩). فالباب للرعاة هو الباب أيضاً للرعية، أي لأفراد المؤمنين.

فسر البعض أن الباب المذكور في هذا المثل هو الروح القدس. يعني أن وصول الراعي إلى قلوب رعيته، بقوة روحية لخالصهم وبنيانهم، لا يكون إلا بفعل هذا الروح. كما أن تأثير المسيح في تبشيره كان يُعزى إلى هذا الروح.

المسيح هو الراعي الصالح

• «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ» (يوحنا ١٠: ١١).

ثم وصف المسيح نفسه بأنه الراعي الصالح، لهذا يصلي صاحب المزامير: «يَا رَاعِي إِسْرَائِيلَ أَصْغَى، يَا قَائِدَ يُوسُفَ كَالضَّانِّ» (مزمور ٨٠: ١) ويقول النبي إشعياء: «هُؤُودَا أَلَسَيْدٌ... كِرَاعٌ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْخُمْلَانَ وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقْوُدُ الْمُرْضِعَاتِ» (إشعياء ٤٠: ١١) ثم أن أحلى المزامير كلها مزمور الراعي (مزمور ٢٣) يقول مطلعته: «الرَّبُّ رَاعِيٌّ فَلَا يُعْزِرُنِي شَيْءٌ».

ليست مهنة الراعي مهنة فخر ودلال، بل هي محفوفة بالمتاعب والمخاطر في الوعور بين الوحوش الضارية. والمسيح كالراعي الصالح تحمل أعظم المتاعب والمخاطر، ثم بذل حياته ليخلص خرافه الخاصة. بينما الذين سماهم «سُرَّاقاً» ولصوصاً» لا يأتون إلا ليسرقوا ويذبحوا ويهلكوا. والذين سماهم «أَجْرَى» لا يدافعون عن الخراف في ساحات الخطر، بل يهربون ويتركون القطيع ينثشت ويُفترس «لأنهم لا يبالون بالخراف».

أما المسيح فهو الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف. فلكي تسلم الخراف من مخالب إبليس ذاق المسيح موتاً لا يستحقه، وأحيا الموتى بموته الذي برهن القيمة العظيمة التي يقدر بها خرافه جملة وأفراداً. وهو يعرف كل فرد من قطيعه معرفة تامة، تتناول أسماءهم وجميع أسرارهم وخفياتهم. ومعرفته الدقيقة واهتمامه التام بكل فرد من رعيته التي لا تُحصى ليست بأقل الآن مما كانت عليه لما أسلم نفسه على الصليب.

الراعي يبذل نفسه

• «وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ، وَلَيْسَ رَاعِيًّا، الَّذِي لَيْسَتْ أَلْخِرَافُ لَهُ، فَيَرَى الدَّنْبَ مُقْبِلاً وَيَتْرُكُ أَلْخِرَافَ وَيَهْرُبُ، فَيَخْطِفُ الدَّنْبُ أَلْخِرَافَ وَيَبْدُدُهَا. وَالْأَجِيرُ يَهْرُبُ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ، وَلَا يُبَالِي بِأَلْخِرَافِ. أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي، كَمَا أَنَّ الْآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا

أَعْرِفُ الْآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ. وَلِي خِرَافٌ أُخْرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِي بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدًا. لِهَذَا يُحِبُّنِي الْآبُ، لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيْضاً. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيْضاً. هَذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبْلُهَا مِنْ أَبِي» (يوحنا ١٠: ١٢-١٨).

لاحظ المسيح أثناء خطابه أنهم لم يفهموا كلامه، فكرره وفسره موضحاً لهم أنه يضع نفسه عن الخراف طوعاً، فيحق له القول: «لهذا يحبني الآب، لأنني أضع نفسي لأخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي». وهذا يشبه قول إشعياء: «أَتَأْمَهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا. لِذَلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْرَافِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِمَوْتِ نَفْسِهِ وَأُحْصِيَ مَعَ أُمَّةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ» (إشعياء ٥٣: ١١، ١٢). وأوضح لهم أيضاً أن له سلطاناً أن يسترد حياته البشرية بعد أن يبذلها - أي أن يقوم من الموت بقوته الذاتية بعد هذا الخضوع الاختياري للموت.

ثم صرح أيضاً باهتمامه بالخراف الأخر التي ليست من هذه الحظيرة. فقال «ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، لأنها لي، فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد». فهو يقصد ضمَّ الأمم الخارجية إلى شعب الله المختار.

• «فَحَدَّثَتْ أَيْضاً أَنْشِقَاقُ بَيْنَ الْيَهُودِ بِسَبَبِ هَذَا الْكَلَامِ. فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: «بِهِ شَيْطَانٌ وَهُوَ يَهْدِي. لِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ لَهُ؟» آخَرُونَ قَالُوا: «لَيْسَ هَذَا كَلَامٌ مِنْ بِهِ شَيْطَانٌ. أَلَعَلَّ شَيْطَاناً يَقْدِرُ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَ الْعُمْيَانِ؟».

• وَكَانَ عِيدُ التَّجْدِيدِ فِي أُورُشَلِيمَ، وَكَانَ شِتَاءً. وَكَانَ يَسُوعُ يَتَمَشَّى فِي الْهَيْكَلِ فِي رِوَاقِ سُلَيْمَانَ، فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «إِلَى مَتَى تَعْلَقُ

أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا». أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي. وَلَكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي، كَمَا قُلْتُ لَكُمْ. خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتَّبَعْنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطِفَ مِنْ يَدِ أَبِي. أَنَا وَالْأَبُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ١٩-٣٠).

كانت هذه التعاليم فوق مستوى سامعيه، فقالوا: «به شيطان وهو يهذي. لماذا تسمعون له؟» أما القسم الآخر، وهم الأقلية، فلم يسكتوا عن التهمة بل أجابوا: «ليس هذا كلام من به شيطان». واستندوا في جوابهم على المعجزة الأخيرة، التي كانت سبب إلقاء هذا الخطاب، وتساءلوا: «ألعل شيطاناً يقدر أن يفتح أعين العميان؟». أما نحن فنضيف على برهانهم الإستفهامي برهاناً آخر ونسأل: على فرض أن الشيطان فتح أعين العميان، هل يمكن أن يعمل الشيطان عملاً صالحاً؟ ألا تكفي الرحمة في هذا الشفاء برهاناً أنه ليس فعلاً شيطانياً؟ لو أراد الخير للناس لما كان شيطاناً.

وهكذا أظهر الرؤساء غباوة عندما نسبوا أعمال المسيح الصالحة إلى الشيطان، فأثبتوا صدق حكم المسيح عليهم بأنهم عميان. ولماذا نسي هؤلاء العلماء أن منح البصر للعميان في التوراة علامة من جملة علامات المسيح وأفعاله؟

أوضح المسيح أنه الراعي الصالح، وأن خرافه تعرفه وتسمع صوته وتتبعه. أما رؤساء اليهود فليسوا من خرافه، ولذلك يرفضون أجلى البراهين على كونه مسيحهم، ويرفضونه لأنه لا يجاريهم في رغباتهم وأفكارهم. أما جاذبيته القوية للأشخاص الذين يستحقون اسم الخراف بالمعنى الروحي، فبرهان على أنه المخلص الآتي، لأن هؤلاء بفعل الروح الإلهي في تجديدهم يميلون إلى الراعي الصالح، الذي نعرفه

من مئيل الخراف إليه واتباعهم له.

ثم قال المسيح عن خرافه: «لن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل. ولا يقدر أحد يخطف من يد أبي». أما الذين يُحسبون ويحسبهم الناس من خرافه ثم يرتدون عنه، فأمرهم موضح في قول الرسول يوحنا: «مِنَّا حَرَجُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لَكِنْ لِيُظْهِرُوا أَنَّكُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا» (أيوحنا ٢: ١٩). من تحقق أنه من خراف المسيح أصبح في ضمانته فلا يهلك. ويستحيل على إبليس وعلى العالم أن يخطفاه من يد راعيه السماوي. وإن ضلَّ، فهذا الراعي يردُّ نفسه ويهديه «إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مزمو ٢٣: ٣).

وعندما يضع المؤمن ثقته في هذه الآية مع أمثالها يجد مرساه مؤتمنة لنفسه، ولا سيما في ساعة السقوط. ولكن لئلا يتصور أحد هذا اليقين يفتح الباب للاستمرار في الخطيئة طمعاً في ضمان المسيح، نقول إن الحياة الأبدية التي يعطيها المسيح لخرافه هي حياة سماوية تجعلنا نكره الخطية ونحب إرضاء الأب السماوي. لأن كل من يرضى أن يبقى في أي نوع من الإثم ويراعي إثمًا في قلبه، يبرهن بذلك أنه ليس من خراف المسيح الخاصة. ومن يطلب فقط الخلاص من عذابات الآخرة لا محلَّ له بين الخراف التي يجمعها الملك عن يمينه في يوم الحساب. وكل من يحب المخلص حباً صادقاً، ويقصد باستقامة ثابتة أن يتخلص من كل ما يخالف إرادة هذا المخلص، يحقُّ له أن يطمئن برغم سقطاته، وأن يتمسك بقول الرسول بولس: «الَّذِي أَبْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يَكْمِلْ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١: ٦). ويقول الحكيم قبله: «الْصِّدِّيقُ يَسْقُطُ سَنَعٍ مَرَّاتٍ وَيُقُومُ» (أمثال ٢٤: ١٦). ولا يُعَقَلُ أن المخلص القدير يبتدئ خلاصاً ويفشل في تكميله. ليس لغير خرافه أن يدركوا هذا السر الذي يعني ويهم الخراف فقط.

في هذا الخطاب تظهر جلياً براهين طبيعة المسيح الإلهية التي خولته حقَّ التكلُّم على صورة لا تجوز لإنسان هو مجرد بشر أن ينطق بها، لأنه سمى

المؤمنين خرافه، وقال إنها تسمع صوته. وليس أنها تسمع صوت الرب كما كان يقول الأنبياء. وإن الكلام كلامه (لم يقل كلام الرب) وإن الخراف تتبعه، وإنه هو الذي يعطيها حياة أبدية، وأنها في يده هو. ولا أحد يخطفها من يده. وله الحق أن يقول إنها لن تهلك أبداً. قال أولاً إنها لا تُخطف من يده، ثم إنها لا تُخطف من يد أبيه. فلئلا يظن أحد أن هذين القولين متناقضان ختم خطابه بالقول: «أنا والآب واحد». وفي هذه العبارة أعلن التوحيد والتثنية في الله في وقت واحد.

وقع هذا الختام الخطير على الرؤساء السامعين كصاعقة أثارتهم حتى لم يعد لهم إلا الاختيار بين أمرين: إما أن يعبدوه كالمسيح ابن الله الوحيد، أو أن يرحموا كمجذف حسب نص ناموسهم. «فتناولوا حجارة ليرجموه». لكنه قابل هذه الحركة بالبسالة قائلاً: «أعمالاً كثيرة حسنة أرى فيكم من عند أبي. بسبب أي عمل منها ترحموني؟!». أجابوه: «إنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً». فأجابهم: «الذي قدس الأب وأرسله إلى العالم، أتقولون له: إنك تجذف، لأنني قلت: إنني ابن الله؟» (يوحنا ١٠: ٣٢ و ٣٣ و ٣٦).

لا يقول نبي عن نفسه إن الأب قدسه وأرسله إلى العالم. ولما نفى المسيح عن نفسه التجديف في قوله إنه ابن الله، عرفنا صدق هذا القول. فلما حاول اليهود ثانياً أن يمسكوه، خرج من أيديهم، وذهب إلى المكان الذي عمّد فيه يوحنا المعمدان، ونجح هناك في تبشيره، إذ آمن به كثيرون.

١٠ - من تعاليم المسيح

تعليم عن الصلاة

• «وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَا رَبِّ، عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمْتَ يَوْحَنَّا أَيْضًا تَلَامِيذَهُ». فَقَالَ لَهُمْ: «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ، لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ، لِيَتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. خُبِرْنَا كَفَافًا أَعْطَانَا كُلَّ يَوْمٍ، وَأَعْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لِأَنَّنا نَحْنُ أَيْضًا نَعْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا، وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَحْنُ مِنَ الشَّرِيرِ». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ، وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَفْرُضْنِي ثَلَاثَةَ أَرْغَفَةٍ، لِأَنَّ صَدِيقًا لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ، وَلَيْسَ لِي مَا أَقْدِمُ لَهُ. فَيَجِيبُ ذَلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولُ: لَا تُزْعَجْنِي! الْبَابُ مُغْلَقٌ الْآنَ، وَأَوْلَادِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيكَ. أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لَا يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكُونِهِ صَدِيقَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لِحَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: أَسْأَلُوا تُعْطُوا. أَطْلُبُوا تَجِدُوا. افْرَعُوا يَفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَفْرَعُ يَفْتَحْ لَهُ. فَمَنْ مِنْكُمْ، وَهُوَ أَبٌ، يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْرًا، أَفَيُعْطِيهِ حَجْرًا؟ أَوْ سَمَكَةً، أَفَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بِنِصَّةً، أَفَيُعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآبَاءُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!» (لوقا ١١: ١-١٣).

في ذات مرة، لما فرغ المسيح من الصلاة طلب منه أحد تلاميذه أن يعلمهم

الصلاة كما فعل المعمدان، فأجابه المسيح بتكرار الصلاة الربانية، مختلفة قليلاً عن صورتها في موعظته على الجبل. وأردف هذه الصورة بمثل الصديق الذي يأتي ليلاً ليقترض من صديقه خبزاً، ولا ينجح أولاً. ولكنه ينجح أخيراً بسبب إلحاحه ولجاجته. وبنى على هذا المثل نصيحته الشهيرة: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم». أي أولاً سؤال بسيط. وإن لم يكف فأقوى منه: أي طلب. وإن فشل الطلب فالقرع. فما نُعطاه فوراً هو خير. وما نجده بعد الطلب هو خير أعظم. وما نناله بعد القرع هو كمال الخير.

ثم أوضح المسيح علاقة المؤمنين البنوية مع الله. فهذه تضمن لهم نوال الخير منه. إذ يستحيل أن يمنعه عن الذين يحبهم كأولاده. طالما الأب هو بشر لا يخدع ولده ولا يتأخر عنه، فكيف يمكن أن الأب السماوي الكامل يخدع أو يتأخر؟ ولا سيما إن طلب منه أولاده عطية الروح القدس، أثنى عطاياه.

تعليم عن عناية الله

• «وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: «يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لِأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ». فَقَالَ لَهُ: «يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكَمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟» وَقَالَ لَهُمْ: «انظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لِأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ». وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا قَائِلًا: «إِنْسَانٌ غَنِيَ أَخَصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لِأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أُنْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هَذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَاتِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكَ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَأَفْرَحِي. فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: يَا غَبِي، هَذِهِ اللَّيْلَةُ تُطَلِّبُ نَفْسَكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلَّهِ».

• وَقَالَ لِتِلَامِيذِهِ: «مَنْ أَجَلَ هَذَا أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَلَا لِلجَسَدِ بِمَا تَلْبَسُونَ. الْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللَّبَاسِ. تَأْمَلُوا الْغُرَبَانَ: أَتَهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ، وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلَا مَخْرَنٌ، وَاللَّهُ يُقِيئُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ! وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا أَهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ زِرَاعاً وَاحِدَةً؟ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْدِرُونَ وَلَا عَلَى الْأَصْغَرِ، فَلِمَإَذَا تَهْتَمُّونَ بِالْبَوَاقِي؟ تَأْمَلُوا الزَّرْنَابِقَ كَيْفَ تَنْمُو! لَا تَتَعَبَ وَلَا تَغْزَلْ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانَ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةً مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ الْعُشْبُ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ فِي الْحَقْلِ وَيُطْرَحُ عَدَاً فِي النَّتُورِ يُلْبِسُهُ اللَّهُ هَكَذَا، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانَ؟ فَلَا تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلَا تَقْلُقُوا، فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَطْلُبُهَا أُمَّمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبْوُكُمْ يَعْلمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَيَّ هَذِهِ. بَلْ أَطْلُبُوا مَلَكَوتَ اللَّهِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ. «لَا تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سَرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمْ الْمَلَكَوتَ» (لوقا ١٢: ١٣-٣٢).

جاء رجل إلى المسيح يطلب منه أن يستعمل سلطانه ليقنع أخاه أن يقاسمه الميراث، فرفض المسيح التداخل في الأمر، لأنه يحصر مساعدته الزمنية في الحاجات الضرورية التي لا يقدر غيره أن يؤديها، ولأن خدمته الدينية خالية من كل صبغة سياسية مذهبية، فلا يرضى أن ينظر الناس كرئيس مذهب يقضي في أمور تابعيه الزمنية. وبمناسبة هذا الحادث هاجم المسيح خطيئة أخرى أعم من الرياء، ولكنها غير مستقبحة عند العموم، وهي خطيئة الطمع، أي تعلق القلب بالمال.

ولكي يوضح ما هو الطمع، قدم مثلاً عن غني زادت خيراته الزمنية، لكنه لم يهتم أن يكون غنياً لله، بل رضي أن يعيش غنياً عنه تعالى. لما زادت محاصيله كان يجب أن يشكر الله ويعترف بفضله، لكنه لم يفعل. وكان عليه أن يعرف أن أمواله ليست له بل لربِّه، وأنه موكل عليها ليستخدمها في ما يهديه الله من الأعمال المفيدة له ولغيره، ولكنه لم يفعل. فأى حق له أن يعتني الله به، ما دام لا يبالي بالله

ولا بالناس، بل بذاته فقط؟ فكان نصيبه أن نقصت حياته بقدر ما زادت حاصلاته، لأنه سمع صوت الرب قائلاً: «يا غبي، هذا الليلة تُطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟».. لا يحصر الله خياراته الزمنية في الذين يتقونه، بل يُنعم بشمسه وهوائه ومائه على الظالمين كما على الأبرار. لكي لا يفسد الدين بسبب استخدامه للمطامع الزمنية.

وبعد أن كرر المسيح لتلاميذه فكرة اعتناء الله بحاجياتهم الزمنية، الواضحة من عنايته بالنبات والحيوان. وبعد أن طمأنهم بأنه على رغم ضعفهم الكلي قد سُرَّ الأب السماوي أن يعطيهم الملكوت، حتَّهم على العطاء، مبيناً أن ما يبذله الإنسان في عمل الخير هو الذي يبقى له. وما يذخره لنفسه فهذا يخسره، وإن بذل المال في سبيل البر يقرب القلب إلى الله. لأنه «حيث يكون الكنز هناك يكون القلب أيضاً».

تعليم عن المجيء الثاني

• «بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لَا تَفْنَى وَكَنْزاً لَا يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ، حَيْثُ لَا يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلَا يَبْلِي سُوسٌ، لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضاً. لِيَتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمْنَطَقَةً وَسَرْجُكُمْ مُوقَدَةً، وَأَنْتُمْ مِثْلُ أَنْاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَى لِأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَتَمَنَّى وَيُتَكَبَّرُ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدِمُهُمْ. وَإِنْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّانِي أَوْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّلَاثِ وَوَجَدَهُمْ هَكَذَا، فَطُوبَى لِأُولَئِكَ الْعَبِيدِ. وَإِنَّمَا أَعْلَمُوا هَذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي آيَةِ سَاعَةٍ يَأْتِي السَّارِقُ لَسَهَرَ، وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يَنْقَبُ. فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذَا مُسْتَعِدِّينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ» (لوقا ١٢: ٤٠-٢٣).

أعلن المسيح أنه سيجيء ثانية إلى أرضنا مجيئاً مفاجئاً، وهذا يوجب على كل عبده أن يسهروا ويستعدوا ليلاقوه بفرح. فالذين يراهم عند مجيئه مستعدين، يكافئهم ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم، ويكونون حقاً مطوبين. ولما سأله بطرس: «ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضاً؟» قدم لهم مثلاً آخر أظهر فيه نصيب عديمي الأمانة في ما وكلهم الله عليه. هؤلاء: «يقطعهم سيدهم، ويجعل نصيبهم مع الخائنين». فالذي يعطيه الله كثيراً يطالبه بالكثير، والذي عنده قليل يطالبه بالقليل، لكنه لا يعني أحداً من المطالبة. ولا يطالب الله الإنسان فقط بما عنده أو بما أعطاه له، بل يطالبه أيضاً بما كان يمكنه أن يحصل عليه لو سعى جدياً، فيجازي الإنسان ليس فقط على مخالفة ما يعرفه من الواجب، بل أيضاً على ما يهمله من الوسائط لزيادة المعرفة.

تعليم عن التوبة

• «وَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ: «كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةٌ تَيْنٌ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ، فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ. فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلَاثُ سِنِينَ أَتَى أَطْلُبُ ثَمَرًا فِي هَذِهِ التَّيْنَةِ وَلَمْ أَجِدْ. إِقْطَعُهَا. لِمَاذَا تُبْطِلُ الْأَرْضَ أَيْضًا؟ فَأَجَابَ: يَا سَيِّدُ، أَتْرَكُهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا، حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَصْعَ زَيْلًا. فَإِنْ صَنَعْتَ ثَمَرًا، وَإِلَّا فَيَمِمْ بَعْدَ تَقْطَعُهَا» (لوقا ١٣: ٦-٩).

أظهر المسيح أيضاً في خطابه إنه أتى إلى العالم بتعاليم هي كنار تحرق أشواك الأباطيل والتمسكين بها، لأنه متى جاء النور إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لا بد من الخصام بين أنصار النور وأنصار الظلام. لأن من طبيعة أنصار الظلام الخصام. فحيثما يكون الكل ظلاماً أو الكل نوراً، فلا خصام. أما متى أقبل النور على الظلام، فإن الظلام يهاجمه فيحدث الانقسام، فالانقسام إذاً نتيجة حتمية لمجيء المسيح لبت تعاليمه.

ثم شبّه المسيح أمته اليهودية بشجرة تين قُضي عليها لعدم إثمارها، وأمر بقطعها لأنها تعطل الأرض. وشبّه الخالق سبحانه بصاحب الكرم، وشبّه المسيح نفسه بالكرّام. فهو الوسيط بين الله أبيه والناس الخطاة، يستدرك الغضب الإلهي الذي استحقوه لعدم إتيانهم بالأثمار الصالحة، ولتعطيلهم الأرض بقذوتهم الشريرة بين الأمم، ويسترحم الصبر الإلهي عليهم حتى يتمّ ما يقصده لخلاصهم. يعترف بأن الله صبر عليها ثلاث سنين، بينما كان هو يعلمهم ويخدمهم بطرق متنوعة. ولم تنبّق له غير واسطة وحيدة وأخيرة يقدمها لهم بسببها يتوبون، وهي أنه يقدم ذاته أمام عيونهم ذبيحة إثم عنهم، فإن قبلوا هذه الوسطة يسلمون، وإلا فيقطعون. وقد تدوّنت على صفحات التاريخ بعد صعود المسيح، الخاتمة المحزنة لما صورّه المسيح في هذا المثل الذي تمّ به كلام المعدادان لما قال: «وَأَلَا أَنْ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (متى ٣: ١٠).

تعليم عن عمل الخير يوم السبت

• «وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ، وَإِذَا أَمْرَأَةٌ كَانَتْ بِهَا رُوحٌ ضَعِيفٌ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَيْتَةَ. فَلَمَّا رَأَاهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: «يَا أَمْرَأَةُ، إِنَّكَ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكَ». وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ، فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللَّهَ. فَرَأَيْسُ الْمَجْمَعِ، وَهُوَ مُغْضَبٌ لِأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي السَّبْتِ، قَالَ لِلْجَمْعِ: «هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ، فَفِي هَذِهِ أَنْتُمْ وَأَسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ» فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «يَا مُرَائِي، أَلَا يَحِلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ نَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِدْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟ وَهَذِهِ، وَهِيَ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ، قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» وَإِذْ قَالَ هَذَا أُخِجَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ، وَفَرِحَ

كُلُّ أَجْمَعِ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ» (لوقا ١٣: ١٠-١٧).

دخل المسيح مجمع إحدى القرى في يوم سبت وصار يعلم، وكان بين العابدين امرأة منحنية الظهر، لا تقدر أن تنتصب البتة منذ ثماني عشرة سنة، حتى لم يعد لها أمل بصحة الجسم. لكن تقواها جذبتها إلى المعبد برغم العلة. لا يظهر أنها استجدت بالمسيح، بل كانت تُصغي إلى تعليمه، فدعاها ليشفيها ثم يجدد تعليمه في قضية السبت وبركاته. فلما تقدمت إليه وضع يديه عليها كطبيب يقوم ظهرها المنحني وقال: «يا امرأة، إنك محلولة من ضعفك». فانتصبت حالاً صحيحة من دائها، وأظهرت إيمانها وفعلت النعمة في قلبها بأنها مجدت الله. فاغتاز رئيس المجمع مدعياً المحافظة على وصية السبت. ومع احترامه للمسيح صوّب توبيخه نحو الجمع وأمرهم أن لا يطالبوا بالشفاء في السبوت ما دام لهم ستة أيام أخرى لذلك.

أما المسيح فرفع عن هذه المسكينة، وعن الجموع، هذا الحكم الظالم. وذكر هذا الرئيس المرآئي أنه يسمح للناس أن يعملوا في السبوت أعمالاً للمحافظة على مواشيهم تزيد على ما عمله المسيح للمحافظة على هذه المرأة. فإذا كانوا يقودون في السبوت مواشيهم إلى المياه بعد أن يحلوها من مرابطها، كيف يدينون من يحل شخصاً من قيود استمرت سنوات، بفعل الشيطان، ليقودها إلى الصحة الجسدية، ثم إلى الحياة الأبدية ففرح الجمع بكلام السيد المسيح وبجميع أعماله المجيدة، وخجل جميع الذين كانوا يعاندونه.

تعليم عن دعوة المساكين

• «وَإِذْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِيسِيِّينَ فِي السَّبْتِ لِيَأْكُلْ خُبْزاً، كَانُوا يُرَاقِبُونَهُ. وَإِذَا إِنْسَانٌ مُسْتَسْقٍ كَانَ قُدَامَهُ. فَسَأَلَ يَسُوعَ النَّامُوسِيِّينَ وَالْفَرِيسِيِّينَ: «هَلْ يَحِلُّ الْإِبْرَاءُ فِي السَّبْتِ؟» فَاسْكَنُوا. فَأَمْسَكَهُ وَأَبْرَأَهُ

وَأَطْلَقَهُ. ثُمَّ أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بَيْرٍ وَلَا يَنْشُلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُجِيبُوهُ عَنْ ذَلِكَ. وَقَالَ لِلْمَدْعُوعِينَ مَثَلًا، وَهُوَ يُلَاحِظُ كَيْفَ اخْتَارُوا الْمَتَكَاتِ الْأُولَى: «مَتَى دُعِيتَ مِنْ أَحَدٍ إِلَى عُرْسٍ فَلَا تَتَكَيَّ فِي الْمَتَكَا الْأَوَّلِ، لَعَلَّ أُكْرِمَ مِنْكَ يَكُونُ قَدْ دُعِيَ مِنْهُ. فَيَأْتِي الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ وَيَقُولُ لَكَ: أَعْطِ مَكَانًا لِهَذَا. فحِينَئِذٍ تَبْتَدِئُ بِخَجَلٍ تَأْخُذُ الْمَوْضِعَ الْأَخِيرَ. بَلْ مَتَى دُعِيتَ فَأَذْهَبْ وَاتَّكَيْ فِي الْمَوْضِعِ الْأَخِيرِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ: يَا صَدِيقُ، أَرْتَفِعْ إِلَى فَوْقُ. حِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ مَجْدٌ أَمَامَ الْمُتَكِينِ مَعَكَ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ». وَقَالَ أَيْضاً لِلَّذِي دَعَاهُ: «إِذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً فَلَا تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلَا إِخْوَتَكَ وَلَا أَقْرِبَاءَكَ وَلَا الْجِيرَانَ الْأَغْنِيَاءَ، لِئَلَّا يَدْعُوكَ هُمْ أَيْضاً، فَتَكُونَ لَكَ مَكَاْفَاءَةٌ. بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ: الْجُدْعَ، الْعُرْجَ، الْعُمِيَّ، فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ، لِأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الْأَبْرَارِ» (لوقا ١٤: ١-١٤).

دعا أحد الفريسيين المسيح ليتناول الطعام في بيته في يوم سبت. ولم تكن الدعوة عن حب وإخلاص، ولكن المسيح المتواضع المتسامح قبلها.

وصادف المسيح في هذا البيت رجلاً مريضاً بالاستسقاء، فسأل الذين كانوا يراقبونه: «هل يحل الإبراء في السبت؟» فتحيروا لأنهم إن قالوا: «نعم»، يكونون قد فتحوا له باباً لفعل المعجزة، ولا يمكنهم أن ينتقدوه عليها، فيزيد تعلق الشعب به وبتعليمه. وإن قالوا «لا» يخجلهم من كتبهم كما فعل سابقاً، فسكتوا. فأبرأ المستسقي وأطلقه. ثم بكت مقاوميه مرة أخرى على أفكارهم السرية في انتقادهم عمله في السبت.

وإذ لاحظ المسيح كيف تسابق ضيوف هذا الفريسي أثناء الوليمة إلى المتكأ

الأول على المائدة، الذي هو الأشرف حسب اصطلاحهم، بنى على ذلك تعليمه أن «كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع». ونصح الحاضرين أن لا يعرض أحدهم نفسه للخجل باختياره الموضوع الأول. فالتعظم ذميم، والتواضع باب الكرامة الحقيقية.

ثم التفت المسيح إلى صاحب البيت وذكره أن الذي يدعو أصحابه والأغنياء من جيرانه ليأكلوا عنده ينال مكافأته في هذه الدنيا، لأنهم فيما بعد يدعونه إلى مواعدهم. أما الذي يريد المكافأة في قيامة الأبرار فعليه أن يدعو ويطعم أهل الفاقة والذل، فالفضل الحقيقي الذي يسخو لمجرد حبه لربه ولبني جنسه، دون نظر إلى العوض، لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة. والإكرام الإلهي مضمون لمثل هذا.

الأكل في ملكوت السماوات

• «فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ قَالَ لَهُ: «طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزاً فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ». فَقَالَ لَهُ: «إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيماً وَدَعَا كَثِيرِينَ، وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوعِينَ: تَعَالَوْا لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. فَأَبْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيِ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ. قَالَ لَهُ الْأَوَّلُ: إِنِّي أَشْتَرَيْتُ حَقْلاً، وَأَنَا مُضْطَّرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِينِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي أَشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ، وَأَنَا مَاضٍ لِأَمْتَحِنَهَا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِينِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِأَمْرَأَةٍ، فَذَلِكَ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ. فَأَتَى ذَلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذَلِكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَقَالَ لِعَبْدِهِ: أَخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى سُورِجِ الْمَدِينَةِ وَأَرْقِبْهَا، وَأَدْخُلْ إِلَيَّ هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدَعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمَى. فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ، قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ، وَيُوجَدُ أَيْضاً مَكَانٌ. فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: أَخْرُجْ إِلَى الطَّرِيقِ وَالسِّيَّاحَاتِ وَالزَّمَهُمُ بِالْأَدْخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلِيَاكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوعِينَ يَذُوقُ عَشَائِي» (لوقا ١٤ : ١٥-٢٤).

علق أحد الحاضرين على تعليم المسيح عن الولايم، وقال: «طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله». حاسباً نفسه من هؤلاء المطوبين. فقدّم المسيح مثلاً اتخذ فيه الوليمة رمزاً إلى الدين، لأن الدين الحق يغذي النفوس ويلدُّ لها، ولأن الله يقدّمه للناس مجاناً، ولأنه يترك للمدعوين تمام الحرية بقبول الدعوة أو رفضها، ولأنه يجمع كل الذين يلبّون الدعوة. تحدث المسيح في المثل عن إنسان شريف دعا أشخاصاً إلى عشاء عظيم في بيته، فقدّموا أعداراً مختلفة، وتأخروا عن العشاء.

هكذا يوجّه الله الدعوة للمتدينين، لكن لأنهم رفضوا دعوته فإنه يوجهها إلى العشارين والخطاة. وهؤلاء يشبهون أهل الشوارع والأزقة في مدينة الملك. ولما كان عشاؤه يكفي كثيرين، فإنه يعمّم الدعوة إلى الذين في الطرق والسيارات خارج المدينة - أي الشعوب الوثنية، فيقبلون ما رفضه رجال الدين اليهود، ويجدون طريقهم إلى التوبة والإيمان.

شبهه المسيح رؤساء الدين بالذي يقول: «اشتريت حقلاً وأنا مضطّر أن أخرج وأنظره. أسألك أن تعفني». ثم بأخر يقول: «اشتريت خمسة أزواج بقر، وأنا ماض لأمتحنها. أسألك أن تعفني». وبثالث يقول: «إني تزوجت بامرأة، فلذلك لا اقدر أن أجيء» (إن أعفيتني أو إن لم تعفني). فالاعتذار الباطل في الدين هو اصطلاح قديم ومنتشر كثيراً ومُهْلِك. وقد وضّح المسيح غضب الله من الأعدار على أنواعها، لأنها تدل على الاستخفاف بدعوته الإلهية لوليمة الخلاص، وعلى غباوتهم الفائقة لأنهم وضعوا أرباح الدنيا قبل أرباح السماء، وظنوا أن أعدارهم تفيدهم، وأن الباب يبقى مفتوحاً لهم إن أتوا متأخرين.

عزيزي القارئ، هل وصلتك دعوة المسيح إلى وليمة محبته لتجد فيها شبع نفسك؟ إنه يريدك أن تتعشى معه وهو معك (رؤيا ٣: ٢٠).

فهل تقبل الدعوة؟ هل تفتح له باب قلبك؟

اترك الأعدار، ومِتّع نفسك معه بالشبع العظيم...

مسابقة الكتاب

عزيزي القارئ،

إن أرسلت إلينا إجابة صحيحة على عشرين سؤالاً من الأسئلة الخمسة والعشرين التالية، نرسل لك كتاباً جائزة من كتبنا المختلفة. نرجو أن ترسل مع الإجابة اسمك وعنوانك وضحين لنرسل لك الجائزة.

١. ماذا كانت إجابة بطرس على سؤال المسيح: «من تقولون إنني أنا»؟
٢. كيف جاء النور لبطرس فأجاب إجابته التي مدحها المسيح؟
٣. لماذا جاء المسيح إلى عالمنا؟
٤. هناك ثلاثة شروط لاتباع المسيح - ما هي؟
٥. ماذا كان موضوع حديث موسى وإيليا مع المسيح على جبل التجلي؟
٦. لماذا قال الله للتلاميذ: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا»؟
٧. ماذا نتعلم من قول المسيح: «قدم ابنك إلى هنا»؟
٨. كيف دبر المسيح أن يدفع هو وبطرس الجزية؟
٩. ماذا نتعلم من دفع المسيح للضرائب؟
١٠. اذكر بعض صفات الأولاد التي يجب أن تكون في المؤمنين بالمسيح.
١١. ماذا تفعل إن أخطأ إليك أخوك؟
١٢. اكتب مختصراً لقصة الملك الذي سامح الرجلين المدينين له.
١٣. اذكر المناسبة التي كتب فيها المسيح بإصبعه على الأرض.
١٤. ماذا نتعلم من سؤال المسيح لأعدائه: «من منكم يبكتني على خطية»؟
١٥. قال المسيح: «قبل إبراهيم أنا كائن» - لماذا غضب اليهود من هذا القول؟

- ١٦ . اشرح معنى قول المسيح: «أنا كائن».
- ١٧ . اذكر ثلاثة أمثلة لطول أناة المسيح وغفرانه لأعدائه.
- ١٨ . من هو قريبك؟
- ١٩ . لماذا نلقي اللوم على الكاهن واللاوي في مثل السامري الصالح؟
- ٢٠ . كيف أكرمت مرثا المسيح، وكيف أكرمته أختها مريم؟
- ٢١ . لماذا وُلد الرجل الأعمى الذي جاءت قصته في يوحنا ٩ فاقد البصر؟
- ٢٢ . لماذا لم يعرف الناس المولود أعمى بعد فتح عينيه؟
- ٢٣ . اذكر ثلاثة أشياء يفعلها الراعي الصالح مع خرافه.
- ٢٤ . في لوقا ١٢: ١٦-٢١ مثل الغني الغبي - اكتب له ملخصاً.
- ٢٥ . إن عملت وليمة، فمن عليك أن تدعو؟ ولماذا تخصص الدعوة لهم؟

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27 · 70007 Stuttgart · Germany